كتب سياسية

فارس السلام

العدد الثالث

تأليف : عبد المنعم شميس

فارس السلام

مقدمة

عندما هبطت الطائرة اهتزت الدنيا ، وعندما نزل فوق سلم الطائرة ارتجت الارض،وزلزل زلزالها،وتلفت البشر فى كافة أرجاء العالم ينظرون ٠

وكانت قدماه ثابتتين ، ثبات الاهرامات فوق صدر الزمن ، وكان يسير وسط الزحام ، فلا ترى غير وجه مصر الخالدة ٠

ثابت القدم ، مرفوع الهامة ، رضى النفس والحس، مشرق الوجه ، باسم الثغر ٠

ابن مصر ٠٠ وزعيم مصر ٠

عزفت له الموسيقى نشيد مصر ، واطلقت له المدافع، ودوت ساحة المطار بأنغام أصحاب المزامير ٠

ثم سار وسط الزحام واثق الخطوة ، فحيا من اراد تحيته ، ولام من اراد لومه ، وقال الكلمة الصريحة لمن شاء ان يقول له كلمته ٠

وعاشت البشرية فى حلم من أحلام الاساطير ، وهى تشاهد أسطورة القرن العشرين •

كان الذين يجلسون أمام شاشات التليفزيون لا يصدقون أنفسهم •

الاقمار الصناعية تنقل للبشر لحظة حاسمة من لحظات البشر، وكان هو يسير وسط الزحام واثق الخطوة عالى الهامة ، باسم الثغر ، مشرق الوجه •

وزعماء العالم لهم سمات وخصائص ، تستطيع رؤيتها على قسمات وجوههم ، وفى صورهم المنشورة، قبل أن يرى الناس وجوه الزعماء على شاشات التليفزيون •

تشامبرلين رئيس وزراء بريطانيا رأى الناس صورته ومظلته السوداء ، عندما ذهب الى أدولف هتلر ليشعل مع الدكتاتور الطاغية نار الحرب العالمية الثانية •• وكانت زيارة فناء ، لا زيارة لقاء ، بسبب هذه الزيارة المشئومة لبرلين ، التى لم يستطع خلالها تشامبرلين التفاهم مع أدولف هتلر ، ليمنع الحرب •

ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الذى قاد الحرب ضد النازية والفاشية ، كان جامد الوجه ،لايكاد يبتسم ، وعندما أجتمع مع روزفلت وستالين صاحب الملامح الحديدية فى بوتسدام ليعلنوا انتصار الحلفاء

كانت الوجوه المنتصرة فى الحـــرب تفسر للبشر كيف يفكر المنتصر .. تشرشل مكتنز الوجه فى ســــطوة الامبراطورية البريطانية ، وستالين حديدى الوجه فى عنف ارادة السيطرة الشيوعية البرولوتارية ، وروزفلت فى وجهه الطفولى البرىء يكاد يقول انه لا يدرى الى أين يصير البشر .

ولو اننا استعرضنا ملامح الزعماء فى ســـاعات الخطر ، لادركنا كيف كان السادات عنـــدما هبط من طائرته ليمشى بقدميه الثابتتين فى قلب الخطر .

سماحة المؤمن ، وصفاء الروح ، وايمان القلب ، وشجاعة الفارس .

والمواقف العظيمة لا يستطيع وقوفها غير عظمـاء الرجال ونحن فى جيلنا لا نستطيع وصف عظمة أنور السادات ، وسيذرك التاريخ مقدار هذه العظمـــة الشخصية الباهرة ، وكل ما نملكه هو تسجيل الاعمال، لا تفسير الصفات .. ونرجو أن نسجل للسادات تاريخه الحى فى ضمير الشعب المصرى ، وفى ضمير الامـــة العربية ، مهما كان التأييد لسياسته ، أو المعارضـــة لآرائه .

ان التأييد أو الرفض لن يغيرا الحقيقة المجردة لهذا الزعيم الهادىء ، الذى أصبح ملء سمع الدنيا ، وأصبح

واحدا من قديسى السلام عبر التاريخ البشرى ٠

لقد خرج السادات من دائرة رياسة الجمهورية ، ومن دائرة السياسة ، وأصبح رائدا من رواد السلام العالمى ٠٠ وهذا هو أعظم شرف كسبته مصر فى تاريخها الحديث ، وكم كان لمصر من شرف فى نضالها من أجل الحرية ، ومقاومة الاستعمار ، وفتح الابواب المغلقة أمام الشعوب ٠

ويكفى مصر أنها هى التى كتبت ميثاق حقوق الانســـان للامم المتحدة ، وكانت ترزح تحت وطأة الاستعمار البريطانى ، واستعباد الانسان لاخيـــه الانسان ٠٠

ويكفى مصر أنـــها هى التي كتبت ميثاق حقـــوق الاستعمار ، ووصلت بها الى الاستقلال ، وكانت مكبلة بأغلال الاستعمار ، ومهددة بالحروب تشن ضدها من الشرق ، ومن الغرب ٠

كانت ثورة مصر عام ١٩١٩ هى التى أشعلت ثورات الشرق والغرب ، وألهبت ثوار دمشق وبيروت وبغداد وتونس والرباط وبعثت الهند .. فقال غاندى أن زعيمه وأستاذه هو سعد زغلول ، ولازال الحبيب بورقيبة يقول

انه ابن ثوار مصر ، وكان عبد الكريم الخطابى يترنم و ثورته وطلقات رصاصه ضد الاستعمار باســــم مصر ·· وكان عمر المختار ثائر ليبيا الشهيد واحدا من الثـــوار العرب الذين صنعتهم مصر ، وخلدتهم مصر ·

وعندما جاء الزعيم السورى الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الى مصر ، وقابل سعد زغلول رئيس مجلس النواب ، قال له الكلمة المدوية ·

ـ « أنت أسد العرب »

كما كان (ديفاليرا) زعيم الثورة الايرلنـــدية من تلاميذ سعد زغلول ثائر مصر ··

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كانت كل حركة أو نبضة أو ثورة عربية هى بنت ثورة ٢٣ يوليو التى أشعلت النار ضد الاستعمار من المحيط الى الخليج، وحتى خليج عدن عند اليمن الديمقراطية الشعبية ! ·

كم من شعوب تحررت واستقلت من نار الشرارة التى أشعلتها مصر ، فاضاءت أرواح الثوار فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ·

وليست المشكلة عند مصر هى التضحيات بالابناء

والاموال ، فكم قدمت من شـــهداء ، وكم قدمت من أموال .. ولم تبحث عن الغنم أو الغرم ، ولكنهـــا استمسكت بقيمتها العظيمـــة الراسخـــة رسـوخ التاريخ .

مصر هى التى حررت العرب من الصليبيين الذين تستروا خلف شعار مقدس وهو الصليب .

مصر هى التى استطاعت حماية البشرية كلها من غزو التتار ، ولم تستطع بغداد ، ولا حلب ، ولا دمشق الوقوف فى وجه هذا الغزو البربرى الرهيب .

مصر هى التى صانت كل مقدسات الانسانية فى كل الديانات وحافظت على كل الحضـــارات ، وهى أم الحضارة ، وصاحبة الحضارة ، ولم تبق فوق الارض حضارة قديمة عريقة تفوق حضارتها ، وشاهد ذلك إن أردت الشاهد هو العجيبة الخالدة الباقية فى الاهرامات.

زالت حدائق بابل المعلقة ..

أصبح سور الصين العظيم حائطا يتفرج عليـــه الناس ..

اندثرت منارة الاسكندرية .

ولكن أهرامات مصر ظلت تطاول الزمن ، ولا يطولها الزمن .

ومصر هى السماحة والصفاء ، وهى جنة الله فى ارضه ، وهى قلب الدنيا ، وهى سلة الخبز ، وسلة الفاكهة .

فى كل كتاب مقدس لها وصف ، ولها الاسم ..

وكان السادات حقا وصدقا هو ابن مصر ، الذى عرف طريقه نحو السلام ، فكان فارس السلام .

ان الذين يحاربون دعوته ، أو يرفضون مبادرته للسلام ، هم أعداء السلام ودعاة الحرب والفناء .. وما هى نهاية الحروب ؟

ان الذين جلسوا يتفرجون علينا ونحن نموت .. ماذا نقول لهم ؟ !

ان الذين جلسوا يتفرجون علينا،ولا زالوا يجلسون ونحن نبحث عن لقمة الخبز من أجل النصر ، ليسوا من دعاة الحق أو الخير أو السلام .

ماذا يريدون ؟

البحر وراءهم ، والعدو أمامهم ..

ماذا ينتظرون ان كانوا من فرسان الحرب ؟

هل يعرف واحد منهم معنى (عقبة بن نافع) أو (طارق بن زياد) .. أم هم أشباه طفال ، لا أشباه رجال ؟

البحر الابيض المتوسط ممتد من طرابلس وبنى غازى الى حيفا وتل أبيب ..

وهضبة الجولان ممتدة من دمشـــــف الى قلب اسرائيــل .

وبادية الشام تتسع للجحافل من جيوش المغاوير فى بغداد حتى تصل الى طبرية ، ولو شاءت الا تعبر الاردن .

ماذا ينتظرون ان كانوا شجعانا ، وأسدا غضابا ؟

هل أخطأ السادات المنتصر عندما طلب الســلام فى لحظة الانتصار ؟

وهل أصاب من لا يملكون أنفسهم عندما رفضوا السلام ، ولم يستطيعوا اشعال الحرب ؟

لـماذا لم يحركوا جيوشهم للحرب بديـــلا من السلام ؟

لماذا لم تصنع لهم موسكو جسرا جويا الى دمشـــق

مثل الجسر الذى أقامته أمريكا فى حرب اكتوبر الى اسرائيل ؟

لم نكن نريد الجسر السوفييتى ممتدا الى سيناء ، ولكننا تمنينا أن يمتد الى القنيطرة ،وهضبة الجولان٠

ان هؤلاء الناس يحاولون طمس الحقائق ، ومن واجبنا أن نذكرهم بكل الحقائق التى عميت عنهـــا أبصارهم ٠

ومن يقل لنا ان مصر قد ضنت بأبنائها وأموالها وثرواتها فى الحرب منذ ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، فليقل لنا ماذا قدم من أبنائه وأمـــواله وثرواته ؟

ولا زالت مصر مستعدة للتضحية بالابناء والاموال ان لم يتحقق السلام لهم ، لا لمصر ، لان سلام مصر يمكن أن يتم فى لحظة واحدة ٠ ولكن سلامهم لن يتم بغير ارادة مصر ، وقوة مصر ، وهو سلام للعرب جميعا، لا لبعض نظم الحكم العربيـــة ، الرافضـــة لدعوة السلام ٠

ان شعب مصر الذى خرج مرتين ليقول كلمتـــه لزعيم مصر ، ليس شعبا من الضعفاء أو المستسلمين ،

ولكنه شعب الثورآت الباهرة ،، والارادات القادرة ٠

كان أول صوت ارتفع بالاحتجاج على ضرب دمشق عندما أطلق عليها الفرنسيون القنابل هو صوت (سعد زغلول) الذى كان يواجه الامبراطورية البريطانيــــة الظافرة المنتصرة فى الحرب العالمية الثانية ٠

وكان أول جنود وقادة وضباط حاربوا فى ليبيا ضد الطليان من مصر ، وعلى رأســـهم عزيز على المصرى وعبد الرحمن عزام ، وكان سلاح الثـــوار من مصر ، وعتادهم من مصر ٠

وكانت قوة مصر هى التى ساندت ثورة الجزائر ، حتى اشتركت فرنسا فى العدوان الثلاثى ضد مصر عام ١٩٥٦ لهذا السبب ٠

وكانت مصر ٠٠ وكانت مصر ٠٠

ان التاريخ القريب طـويل ، ولكننى أتذكره أتذكر بعضه ، لان الذين يرفضون اليوم دعوة السلام التى قام بها فارس السلام تناسوا كل هذا ٠٠

وفارس السلام المصرى الاصيل يقدم الشكر لمن قدموا العون لمصر فى حرب اكتوبر ٠٠ ولكنه يأبى لكرامته

العظيمة ، ن يذكرهم بما قــدمته مصر ، ولا زالت تقدمه ٠

ان مصر لا تطلب شيئا غير السلام للاشــــقاء ، لا لنفسها ، لانها لو أرادت السلام لحققته ، وهى فى أزماتها المتلاحقة لا تطلب شيئا من أحد ، وهى قادرة بذاتها وثرواتها وحضارتها على اعادة صنع حياتها ٠

والذين لم يسمعوا ، يجب أن يسمعوا كلمة طارق ابن زياد عندما عبر بجنوده جبل طارق :

ـ البحر وراءكم ، والعدو أمامكم ٠٠

ولو كان فيهم (طارق بن زياد) فليتقدم ، ونحن له منتظرون ولن نرفضه ، ولو عبر البحر لاحنينا له جباهنا ٠

من أراد منهم أن يحارب أمريكا فليتقدم ، وليأت معه بالسوفيت ليحاربوا معه ، وليشتر قنبلة ذرية كما قال طفل من أطفالهم ذات يوم ٠

ولكن المؤكد هو أن السوفيت لن يحاربوا معه ، ولن يبيعوا له قنبلة ذرية ، لانهم هم انفسهم كانوا يتسابقون يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ للاعتراف باسرائيل مع أمريكا ٠

الحقيقة مرة .. ولكنها حقيقة ..

وهل يستطيع الرافضون أخذ موافقة من الاتحاد السوفيتى بالقاء اسرائيل فى البحر كما كانوا يقولون ؟

لقد حطم فارس السلام هذه الافكار ، عندما حطم حاجز الوهم فى اسرائيل ، لاننا لا نريد القاء اسرائيل فى البحر ، ولا نريد أن تلقى اسرائيل بالعرب فى جوف الصحراء .

نريد أن نعيش فى سلام ..

ان دعوة السلام ، التى دعاها الرئيس السادات ، ليست دعوة استسلام ، ولكنها دعوة عدل ، وكان أعظم ما فيها هو اتفاق على ان تكون حرب اكتوبر ١٩٧٣ هى آخر الحروب ، وهو بذلك يؤكد الدعوة الانسانية الرفيعة فى اقرار المبدأ الاسمى للانسان فى عصرنا وهو نبذ الحروب .. وهناك اتفاق بين سائر البشر على اختلاف أجناسهم ،ومفاهيمهم السياسية على ان عصر الانسان الجديد المتحضر هو عصر نبذ الحروب ..وقد استسلمت أمريكا لهذا المبدأ فى حرب فيتنام ، وكان الشيوعيون يقولون ان الحرب هى وسيلة الامبريالية والراسمالية للسيطرة .. فلماذا يعارضون اليوم رأى السادات فى انهاء الحروب ؟

هل سلامنا مختلف عن سلامهم ؟

لماذا ينادون بتحقيق السـلام لانفسهم ، ولا بريدون ان يتحقق لنا ؟

القضية فى جوهرها هى قضية السلام والحرب .

واكبر ضربة وجهها السادات للشيوعيين هىقضية السلام .

ان الذى يرفض دعوة السلام لا يمكن الا ان يكون مجرم حرب 'و محترف حرب ، ولسنا نريد ان ندخل فى التفاصيل التى تؤدى الى السلام ، لان الاتفاق على السلام فى ذاته يعتبر تحقيقا للفكرة الساميـة التى يسعى اليها كل انسان ، اما لتفاصيل فانها جزئيات يمكن الاتفاق عليها فى كل الظروف السياسية .

وقد استطاع الاتحـاد السوفييتى أرغام الالمان بعد هزيمتهم فى الحرب العالمية الثانية على التنازل عن مقاطعة المانية كاملة لبولندا ، ولم يكتف بذلك بل انه هجر آلاف الالمان من مقاطعة ؛ اودر ـ نيتسه) التى اصبحت بولندية الى جمهورية المانيا الديمقراطية .

ولكن السادات عندما اعلن مبادرة السـلام لم

يتنازل عن شبر واحد من الارض التى احتلت فى حرب ٦٧ ، ولم يتنازل عن القدس العربية ، ولم يتنازل عن حق واحد من حقوق شعب فلسطين فى عودته واقامة دولته ٠

هذا هو السلام القائم على العدل باتفاق العرب جميعا على اختلاف مذاهبهم ونظمهم وأحزابهم ٠

واذا كان السادات هو الذى تصدى للحرب واتخذ قرارها ،وهو قرار رهيب يمثل قمة الجرأة وسط عالم تملك فيه القوتان الاعظم مصائره ٠٠ اليس من حقه ان يتخذ قرار السلام ؟

واذا كان قد انتصر فى الحرب وعبر جنوده قناة السويس ، وحطموا خط بارليف المنيع ، وحاربوا معارك الدبابات الرهيبة عبر خط جوى من أمريكا الى سيناء ٠٠ ثم انتصر ٠٠ أليس من حقه أن يقول كلمته وهى كلمة سلام ؟

نعم ٠٠ نعم ٠٠ نعم ٠٠

ان فارس السلام هو نفسه فارس الحرب ، ولم يعترف الذين يرفضون السلام اليوم بأنه فارس الحرب الا بعد الانتصار ٠

ماذا كان مصيره لو انهزم فى حــرب اكتـــوبر ١٩٧٣؟

كانت صفحته ستطوى كما طويت صفحات من قبل للمهزومين المدحورين ، ولكن الســادات كان منذ بدايات حياته صوت انتصار ضد الاستعمار ، وضد الطغيان ، وضد الحرب ، ومن اجل السلام ، مع انه ضابط عسكرى من ابناء المدرسة العسكرية التى حاربت فوق رمال الحجاز والشام وليبيـــا ، وحطمت نفوذ بريطانيا فى مصر عندما تولى زعيمها لاول مرة فى مصر بعد الاحتلال البريطانى رياسة اركان حرب الجيش المصرى وهو ·· عزيز على المصرى ·

وكان عزيز على المصرى يقول انه لم يجد ضابطـا من ضباط جيشه المصرى يستعير منه الكتب غير أنور السادات ثم يعيدها الى رفوفها فى المكتبة ·· واختلطت العسكرية بالثقافة والفكر والدين وكل مقومات الحضارة فتعلم انور السادات فى شبابه كل هذه الاشياء ، وتعلم معها ان حضارة مصر عمرها سبعة آلاف عام ، وان مصر هى داعية السلام ··

كل حروبنا كانت من أجل الســلام وكل الغزوات التى تعرضت لها مصر وحاربت حروبها لم تكن من اجل الحرب ولكنها كانت من اجل السلام ·· وقد خاض

انور السادات معارك حيـــاته كلها من اجـــل الحب والسلام ، لم ينهزم ولم ينكسر ، وقد انهزم كثيرون وانكسروا لانهم أرادوا أن توضع فوق رؤوسهم أكاليل الغار على طريقة (يوليوس قيصر) ولكن الســـادات ادرك منذ البداية ان اكليل الغار الوحيد هو كلمة شعب وكلمة سلام •• وفى هذا الكتاب اريد ان احدثك عن الشيء الذى حفظ لمصر قوتها وحضارتها ، وأبقى لهـــا تراثها وأمجـادها ، حتى اصبحت مقبرة الغـزاة وأم الحضارات ، وهذا الشيء العجيب هو كلمة السلام • وهو الغفران لكل ذنب سبق ، وهو الشعلة المضيئة فى قلب الانسان عندما يؤمن بأنه هو الانسان •

هذه الاوراق صفحة من تاريخ شعب يكتب بالقلم كلمة دوت فى ارجاء الدنيـــا وقالها ابن مصر فارس السلام •

ان مصر صانعة الحضارات لن تبيع الانسان فى سوق الحرب ، ولكنها تصنع الحيـــاة من أجـــل الانسان •

رسالة مقدسة •• حضارة عظيمة •• نور يضيء القلب •• سلام من اجل السلام •• سلام للسلام •

الرجـل والموقف

من اهم السمات البارزة فى شخصية السادات ، انه رجل مواقف ، لا يحيد عنها ، ولا يبعد • لا بسبب العناد ، ولكن بسبب الاقتناع بالمبدأ الذى يتخذه • فهو انسان فيه صفاء وشفافية تستطيع أن تراها فى لمعان عينيه وفى قسمات وجهه ، وتستطيع أن تسمعها فى نبرات صوته • وهو صادق مع نفسه ومـــع كل الناس بغير غطرسة ولا كبرياء •

وصورته لم تختلف منذ صدر شبابه حتى اليوم اذا جمعت مجموعة من صوره الفوتوغرافية منذ كان فى قفص الاتهام حتى أصبح رجل مصر فانك ترى فى ملامحه هذا الشىء العجيب الذى جعله رجل كل موقف •

ان الاقتناع بما يفعله تسبقه مراحل من اقناع نفسه بما يفعل ، ولا يهمه بعد ذلك اتخاذ القرار • لان قراره ليس عشوائيا ، ولا عاطفيا ، بل ان مصدره الاول هو التفكير العميق المتأنى ، ومعرفة الاسباب والنتائج • وقد يكون نتيجة لاصطدام عقله بعقول الاخرين مـن زملائه أو معاونيه أو أصفيائه • وقد يكون نتيجـــة لدراسته الشخصية فى عقول من يلتقى بهم ، ويعرفهم من العامة أو الخاصة •

هو يملك القوة التى لم يملكها كثيرون من حكام الشرق ، وهى قـــوة الكليات العليا ، لا الجزئيـــات السفلى •

وقد كان جمال الدين الافغانى يقول « أن حكام الشرق لا يملكون الحـــكم على الكليات ، ولكنهم يهتمون بالجزئيات » وكانت هـــذه هى المشـــكلة الاساسية ، ولازالت ، عند اتخاذ القرار • لان النظر الى الكليات هو أساس السياسة • اما الجزئيات فانها من عمل الذين ينفذون السياسة •

وهذا النوع من التفكير ليس جديدا عند الجيل الذى ولد فى ظل ثورة ١٩١٩ ، فى أعقاب ضياع الثورة العرابية •

كثيرون لا يفهمون كيف يفكر هذا الجيل عندما تخلص من كل عقد السطوة والسيطرة ، واعتنق فكرة النظرة الشاملة ، أو النظرة الكلية •

أنور السادات واحد من ابناء هذا الجيل ، وهو أعز أبنائه على غير خلاف • وفكرة الحرية عنده مثل أبناء جيله من غير المعقدين أو المسيطرين ، هى الفكرة الاسمى • كما أن أفكار الديمقراطية أو الاشـــتراكية أو السلام أو غيرها من أفكار رفيعه سامية ، لا تؤدى

عنده الى السيطرة عن طريق الفكره ، ولكنها تؤدى الى سيطرة الفكرة على وجدانه وعقله وشعوره ، لتصبح قوة من قوى الشعب .

ومنذ البداية كان السادات فى صدر شبابه معتنق الفكرة ولا يترك الفكرة لتسيطر عليه ، بل انه هو الذى يسيطر عليها ليحققها .

عندما قدم للمحاكمة أمام محكمة بريطانية ، وهو ضابط فى جيش مصر . رفض المحاكمة من حيث المبدأ . وقال لاولئك الذين أرادوا محاكمته أنه يرفض مثوله أمام محكمة تمثل احتلال بلاده ، ولو كانت تستند الى سلطة شرعية تحكم بلاده .

موقف فريد من مواقف الشرف النفسى . وهو ليس موقفا من مواقف الوطنية الصارخة التى لا تفهم عند الشدة غير الصراخ ولا تدرك للمعنى العميق فى اصالة الوطنية العاقلة غير الصارخة .

لقد رفض السادات ان يحاكمه الانجليز الذين يحتلون بلاده ، لمعنى من المعانى النفسية التى تضع قيمة الانسان بين : لا ونعم . وكان يعرض نفسه للاعدام بغير محاكمة ، وكان هذا ممكنا ، كما كان يختبر حقيقة وجوده وكيانه فى مصادمة القوة الاستعمارية اذا منح الحياة ، وكان هذا ممكنا أيضا .

ثم انتصر السادات بارادة الحياة فى موقف من المواقف الفاصلة بين الموت والحياة ٠

العظماء من البشر لا يقبلون محاكمتهم على العظمة التى أدركوها ووصلوا اليها ٠ والموت أحب اليهم من حياة المذلة ٠

وفى هذا الموقف العظيم من مواقف الانسان بين الموت والحياة ، عرف السادات الضابط الصغير فى ذلك الوقت موقفه من بلاده وكفاحه ونضاله ٠ ولعله كان يقول لنفسه :

ـ الموت أحب الى مما يدعوننى اليه ٠

ثم وقف فى قفص الاتهام بعد ذلك عندما اتهم مع غيره من شباب جيله باغتيال (أمين عثمان) عميل بريطانيا فى مصر ، فكان له نفس الموقف ٠

هز قضبان الحديد وهو أسير ، لا ليطلب لنفسه البراءة ، ولكن ليصيح صيحته من أجل مصر ٠

هاجم النائب العام ، ورج قاعة المحكمة ، واستنفر الشعب المصرى كله ، وهو داخل قضبان الحديد ، ليدافع عن حريته وكيانه من أجل مصر ٠

سجن ، واعتقل ، وهرب ، وعاد الى المعتقل بارادته ، وكان قد خرج بارادته • ثم ضاقت به الحياة ، ولم يضق هو بالحياة •

الدموع والبسمات عنده سواء •

الشدة والرخاء ليست هي الانسان ، ولكن الذى يملكها ويصنعها هو الانسان •

والمواقف الصعبة القاسية ، لا تحطم الانسان ، ولكنها تمنح الانسان القدرة على صنع الحياة • وقد استطاع الرجل بكل معنى من معانى الرجولة أن يفكر فى أهله وناسه وبلده قبل أن يفكر فى نفسه • وهو فى قمة المأساة •

كان يمكن أن يضيع أنور السادات وسط الزحام ، أو يصبح صاحب شركة من شركات سيارات النقل ، أو تاجرا من التجار ، أو مغامرا من المغامرين ، وهو فى قمة مأساته الانسانية •

كان يمكن أن يبيع نفسه للقصر ليصبح ياور الملك • بعد أن عاد الى الجيش •

كان يمكن أن يكون أشياء كثيرة ، أتخيلها ،

وأعرفها فيمن عرفت من أشباه الرجال ، الذين كانوا يتباهون بأنهم شيء ، وهم لا شيء .

ان المواقف الصعبة التى تعرض لها أنور السادات هى من صنع نفسه ، وهو القادر عليها بعون الله ، ولكن هذه المواقف تدفعنا الى تحليل شخصيته . وهذ، من حقنا ، لان السادات لم يصبح ملك نفسه ، بل أصبح ملكا للتاريخ .

وأحب أن اقدم اليك مواقف السادات منذ اعلان ثورة ٢٣ يوليو فى فجر هذا اليوم ، حتى اصل بك الى مواقفه اليوم .

كان السادات هو أول صوت يعلن الثورة . وهذا أحد مواقفه الجريئة المعلنة للناس . ولو أنه فشل فى الذهاب الى مبنى الاذاعة ، أو فشل فى الوصول الى الميكرفون ، أو تلعثم فى كلماته ، لسقطت الثورة .

السادات هو الجرىء القادر على اعلان الثورة ، ولازال صوته العميق الهادىء الرزين مســـموعا على أشرطة التسجيل ، بغير انفعال ، ولا افتعال .

وكان السادات هو الذى سيطر فى صباح ٢٣

يوليو ١٩٥٢ على وزارة الداخلية فى القاهرة ، بعد اعلان الثورة ٠

وهذا موقف آخر من مواقفه الرائعة الباقية فى تاريخ مصر وفى ذلك اليوم ، صعد الى مكتب مدير المطبوعات (أنور حبيب) صديقه الذى دافع عنه قبل ان يعرفه فى قضية أمين عثمان ٠ تم نشر بيان الثورة فى صحف المساء ٠ واصبحت الصحافة صوت الثورة منذ تلك اللحظة ٠

ومنذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى سـبتمبر ١٩٧١ قام بأعظم رسالاته الانسانية ، والفكرية ٠

الصحفى الذى انشأ صحافة الثورة فى جريدة الجمهورية والشعب ومجلة التحرير ٠

رئيس المؤتمر الاسلامى الذى دعا الى وضـع أساس الفكر الاسـلامى الجديد الذى يربط الدين بالحياة وكان من أشهر من عملوا معه فى تلك الفترة الشيخ أمين الخولى ٠

رئيس مجلس الامة الذى دعا الى اقامة دعائم الديمقراطية وسط العواصف والانواء ، فقدم لشعب

مصر التجـــربة الديمقراطيـة الجديدة التى تؤكد تحالف قوى الشعب • بعد أن سقطت صور الماضى التى جعلت عضوية البرلمان للطبقة صاحبة الارض والثروة والجاه • وكان السادات هو مفكر الديمقراطية المصرية حتى قامت الاحزاب فى مصر •

وأنور السادات له سجل حافل فى مضابط مجلس الامة • وموقفه من سيادة القانون ثابت منذ وضعوه فى قفص الاتهـــام ، فهز النفـــوس ، عندما هز بيديه القضبان •

ورغم متاعبه العنيفة التى قاساها خلال فترات الاضطهاد ، والتشريد ، ظل مؤمنا لا يتزعزع ايمانه ، وبقى صافى القلب والروح بلا حقد على شىء ، أو ضد أى شىء • وهذا من فضل الله عليه ، فان الاضطهاد يثير فى النفوس نوازع الغضب والحقد والمرارة •

ان قلب السادات يجمع الشجاعة والرحمة معا • وهذا القلب هو الذى يكون شخصيته التى تشق كل الصعاب والعقبات • مع حكمة العقل والتجربة •

والسادات يصف نفسه كثيرا بأنه رجل مفتوح القلب ، مفتوح العقل • وهو يواجه كل المشـــكلات بالقلب المفتوح ، والعقل المفتوح • فلا يتعصب ، ولا

يتشنج ، ولا يحقد ، ولا ينتقم • بل انه يقف دائما الموقف الانسانى الرفيع •• قوة فى غير تساهل أو تنازل عن المبادىء ، وسماحة فى غير ضعف أو تخاذل •

كان موقفه من مراكز القوى فى ١٥ مايو ١٩٧١ من أروع مواقف الثائر الحكيم القادر على تحقيق أهداف شعبه • عندما تعرض هذا الشعب لسطوة الاذلال الرهيب ، فلا ديمقراطية ، ولا قانون ، ولا اعتراف بحق واحد من حقوق الانسان •

وفى ضربة واحدة أنهى السادات كل شىء ، وبدأت مصر مرحلة جديدة من مراحل حياتها الحرة • وكانت ثورة ١٥ مايو التصحيحية هى البداية الحقيقية لما نعيشه اليوم ، ونحن على أبواب عهد الرخاء والرفاهية •

ثم كان موقفه القوى الرائع عندما أخرج الخبراء السوفييت من مصر • وكان السوفييت قد اعتقدوا أن مصر أصبحت فى أيديهم وتغلغلوا فى أعماق حياتها • وسيطروا على وسائل انتاجها ، وكبلوها بالديون ، واستبدوا بكل ما تملكه من قطن ومحاصيل وصناعات حتى استنزفوا دماءها مما لم يحدث له مثيل حتى فى عهود الامبريالية الطاغية • ثم حاولوا فرض مبادىء

الماركسية على شعب مصر ، وروجوا لافكارهم يريدون أن يخدعوا بها الفكر المصرى ٠

لم يكن أحد يصدق أن الحاكم المصرى يستطيع طارد خبراء السوفييت ٠ ومع ذلك فانه لم يتخذ موقف الرفض للتعاون مع السوفييت ، ولا زال موقفه ثابتا حتى اليوم ٠ وهو موقف مصر التى لا تغلق أبوابها فى وجه أحد ، ولكنها لا تخضع لاحد ٠

وقال السادات لجماهير الشعب التى احتشدت لتحيته فى ميدان الجمهورية الكلمة التى هزت المشاعر والقلوب ٠

قال الزعيم القوى المؤمن :

ـ أنا لا أحنى جبهتى الا لشعب مصر ، ولا أركع الا لله ٠

لقد تغلغل السوفييت فى مصر ، وأرادوا فرض وصايتهم عليها ، ووصل الامر الى درجة رهيبة عندما ضم الميثاق الوطنى المصرى فصولا من كتابات لينين ، تكاد تكون منقولة بالحرف فى بعض الفقرات ٠

ولم يكن طرد الخبراء السوفييت من مصر

مقدمة للموقف الاكبر عندما اتخذ السادات القـــرار التاريخى بالحرب ، والذى نفذه فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ٠

لم يكن هذا فحسب ، وهو فى ذاته خطير ، ولكنه كان موقفا فكريا ، ينهى مرحلة ، ويبدأ مرحلة اخرى ٠ فقد بدأ الفكر المصرى يتحرر من أشياء أقحمت عليه أقحـــاما ٠ حتى وصلت أفكار الماركسية الى تلاميذ المدارس عن طريق ما كانت تحويه النصوص الرسمية المكتوبة فى الميثاق الوطنى ٠ بل أن بعض نصوص هذا الميثاق ، كتبت بمهـــارة لتزعزع وجدان الشعب المصرى ، وتفقده الثقة بنفسه وبزعمائه الســـابقين المناضلين ، فقد ذكر أن (سعد زغلول) قد ركب قمة الموجة الثورية فى عام ١٩١٩ ٠ فكيف يصدق شباب هذا الجيل أن هذا الزعيم الذى يرى تمثاله فى القاهرة . وفى الاسكندرية ، يمكن أن يساوى شيئا ، وهو الذى ركب قمة الموجة الثورية ، فأصبح الزعيم العظيم ، انتهازيا يركب فوق قمة الثورة ٠

ولكن السادات استطاع اعادة الثقـــة للشعب المصرى بنفسه وهو الذى اعاد اسم مصر نفسها ، بعد أن محى هذا الاسم ، وأطلق عليها اســـم (الاقليم الجنوبى) فى الجمهورية العربية المتحدة وهو الذى اعاد لمصر كرامتها وعزتها فى انحاء الدنيا ، عندما ترنم باسمها وحضارتها فى خطبه وأحاديثه ٠

لقد حطم الستار الحديدى الذى أحيطت به مصر يوم طرد الخبراء السوفييت ، فكان هذا العمل رمزا لتجرير مصر من النفوذ والسيطرة ٠

أما قـرار الحـرب فـكان أخطر قرار اتخذه ابـن مصر قبل أن يتخذ القرار الاخطر ٠ وهو قرار السلام .

فى يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، كان موكبه يتجه الى مجلس الشعب وكنت واقفا على الرصيف لارى مشهدا عظيما وسط جماهير شعبنا العريق ٠

أنور السادات فى زيه العسكرى ، ويداه مرموعتان لتحية شعبه الذى يحييه ٠

تاريخ طويل من الانتصارات الباهرة :

احمس قاهر الهكسوس فى عربته الحربية وسط شعب مصر ٠

صلاح الدين قاهر الصليبيين ٠ على رأسه خوذتـه وعلى صدره درعه ، وفى يده سيفه ، ممتطيا صهوة جواده ، وهو يشق شوارع القاهرة ، بعد أن عاد من صلاته فى المسجد الاقصى ٠

بيبرس قاهر التتار ، يحف به فرسانه ، وبأيديهم

الرماح ، وأمامه فرق الموسيقى تدق طبول السلام بعد الحرب .

صور كثيرة تتراءى أمام عينى ، وأنا أشاهد السادات يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، منطلقا ، وفوق رأسه أسراب الحمام الابيض .

وقال السادات كلمته أمام مجلس الشعب :

اننا حاربنا من أجل السلام .. حاربنا من أجل السلام الوحيد الذى يستحق وصف السلام ، وهو السلام القائم على العدل .

وفى تلك اللحظات ، كانت هناك مؤامرة تحاول اجهاض الانتصار المصرى . فحدثت مسرحية الثغرة، ثم حاولت القوات الاسرائيلية الالتفاف حول مدينة السويس ، واقتحامها .

ودارت أعظم ملاحم التاريخ على أبواب السويس. ولم يفقد البطل المنتصر أعصابه . بل ظل وفيا لمبادئه .

كان فى الامكان ابادة الثغرة كلها بكل ما فيها ومن فيها ، ولكنه رفض اصدار الامر بالابادة لانه كان يحارب من أجل السلام ، لا من أجل الابادة ..

ثم سقط المعتدون على عتبات السويس • ودارت مفاوضات الكيلو ١٠١ عند السويس ، باشراف الامم المتحدة وكان المتشدقون يحاولون الاثارة والتحريض لاستمرار اشتعال الحرب • لانهم لا يخسرون شيئا ، ما دام المصريون هم الذين يحاربون ويستشهد منهم الابطال •

ولكن فارس السلام ، رفض استمرار الحرب ، بعد أن أكد الانتصار ، وعبور قناة السويس ،وتحطيم خط بارليف ، واشعال الدبابات الالكترونيةالتي نزلت من العريش الى ساحات القتال فى سيناء ، فى أشرس معركة من معارك الدبابات شهدتها الحروب •

كانت هذه الدبابات الامريكية ، قد وصلت إلى ميدان المعارك عبر الخط الجوى الذى أقامته أمريكا لمساعدة اسرائيل على القتال ، فاصطادها المصريون كما يصاد الاوز •

ووسط نيران المعارك •• كان هو وحده يتحدث عن السلام•وقبل اليوم الذى ألقىفيه كلمته أمامجلس الشعب ، كتبت جريدة الديلى اكسبريس فى يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ تقول :

« ان رجلا واحدا فى الواقع ، وهو الرئيس المصرى

انور السادات يستطيع ايقاف الحرب . لقد قاتلت قواته بشجاعة ، وقد حققت أكثر بكثير مما كان يحلم به أى شخص » .

وكان السادات فى تلك اللحظات يفكر فى السلام والرخاء ولا يبحث عن الامجاد الشخصية . وظل هذا هو موقفه منذ أكتوبر ١٩٧٣ ، حتى يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ ، عندما جلس الناس فى ارجاء العالم أمام شاشات التليفزيون يشاهدون مشهدا لم يكن يراود خيالهم .

كان السادات يلقى خطابه امام الكنيست الاسرائيلى .

قدمان ثابتتان

فى الايام الاولى بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، نشرت الصحف صـــورة فوتوغرافية لانور السادات فى زيه العسكرى ، وبيده عصاه ، وكان يسير فى طريقه الى مبنى القيادة البريطانية فى الاسماعيلية .

كانت قدماه ثابتتين ، وهو يدخل معقلا من معاقل الاحتلال البريطانى فى مصر — وانت ترى ذلك فى كل خطوة يخطوها فارس السلام .

هذه احدى خصائص شخصيته ،فهو راسخ القدم لا يتعثر فى مشيتـــه ، ولا يهرول ، ولا يتراجـــع ولا يتردد .

بعض الزعماء تجرى أقدامهم عندما يصعـــــدون الى منصة الخطابه ، أو يسيرون وسط الجماهـــير . وبعضهم تلتف أقدامهم ، ولا تثبت خطاهم ، وآخرون تراهم متباطئين تكاد أقدامهم لا تنتقل فى خطواتهم .

نماذج كثيرة نراها فى الصور الثابتة ، والصـــور المتحركة .

ولكن القدم الثابتة نادرة وقليلة . وهى تعبير عن شخصية القائد أو الزعيم ، كما انها تأكيد لنوعيـــة التفكير لصاحب القدم الثابتة .

وصاحب هذه القدم لا يعرف الخوف أو التردد أو التراجع • وهو يمضى فى طريقة غير هيـــاب - لان صاحبها من أصحاب العقل الثابت •

والسادات من أصحاب القدم الثابتة ، لم تزعزعه العواصف والاعاصير طوال كفاحه ونضاله ، سواء كان فى تجمعات الثوار المناضلين ، او فى قمة الزعامة •

هناك دعاء نعرفه ، وهو دعاء القوة ، حين يثبت الله قدمى انسان • ونقول فيه :

ـ ثبت الله قدميك •

ان القدم الثابتة دليل على ثبات القلب المؤمن والعقل الهادىء المستنير ، وهى الدلالة على التمكن والمقدرة • ولذلك قال السادات لاعضاء الكنيست يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ ، كلمته الرائعة :

« جئت اليكم اليوم على قدمين ثابتتين لكى نبنى حياة جديدة ، لكى نقيم السلام ، وكلنا على هذه الارض ، أرض الله ـ كلنا مسلمون ومسيحيون ويهود نعبد الله ، ولا نشرك به أحدا وتعاليم الله ، ووصاياه هى حب وصدق وطهارة وسلام » •

الاقدام الثابتة تبنى الحياة ، والاقدام المتعثرة تبعثر بناء الحياة •

ولنبدا القصة من البداية

بعد انتصار أكتوبر ١٩٧٣ العظيم بعام كامل عقد مؤتمر القمة العربى السابع فى الرباط ، وقرر هذا المؤتمر الذى اجتمع خلال الفترة بين ٢٢ و ٢٨ من شهر أكتوبر ١٩٧٤ ، قرارا هاما ، هو حجر الزاوية فى بناء السلام •

فقد جاء فى بيان المؤتمر القرارات التالية :

١ ـ تاكيد حق الشعب الفلسطينى فى العودة الى وطنه وتقرير مصيره •

٢ ـ تاكيد حق الشعب الفلسطينى فى اقامة السلطة الوطنية المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى على آية ارض فلسطينية يتم تحريرها وتقوم الدول العربية بمساندة هذه السلطة عند قيامها فى كل المجالات وفى كل المستويات •

٣ ـ دعم منظمة التحرير الفلسطينية فى ممارسة مسئولياتها على الصعيدين القومى والدولى فى اطار الالتزام العربى •

٤ ـ دعوة كل من المملكة الاردنية الهاشمية والجمهورية العربية السورية وجمهورية مصر العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية الى وضع صيغة لتنظيم العلاقات بينهم فى ضوء هذه القرارات من اجل تنفيذها •

٥ ـ تلتزم كل الدول العربية بالحفاظ على الوحدة الوطنية وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للعمل الفلسطينى •

ثم بذل فارس السلام كل جهوده من أجل الاعتراف العالمى بفلسطين ، وشعب فلسطين •

كنا نتحدث عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين خلال ربع قرن من الزمان ، .ولكن السادات رفض فكرة اللاجئين ، ودعا الى فكرة الفلسطينيين أصحاب الحقوق المشروعة فى اقامة وطن لهم ••فانتقلت المشكلة من الوضع الانسانى الى الوضع السياسى •

وبدأت الدنيا كلها تعرف حقيقة مشكلة لشرق الاوسط ، وحقائق النزاع العربى الاسرائيلى ، ولم تصبح مشكلة لاجئين ، بل صارت وجود شعب وكيانه ، وحقه فى اعادة بناء دولته .

قال السادات : ان مشكلة الشعب الفلسطينى هى لب مشكلة الشرق الاوسط وأن حل هذه المشكلة الفلسطينية هو مفتاح الحل ، واذا لم تحل فان النزاع سيستمر •

وضع السادات فلسطين وشعبها فى مكانهم

الصحيح ، وكان يدعوهم الى اقامه حكومة لهم فى المنفى ولكنهم خافوا من جراءته ولم يقيموا الحكومة بسبب خلافاتهم ، وسيطرة القوى الخفية على زعامتهم ، أو بسبب المنافع الشخصية لبعض زعمائهم .

بعد نكبة ١٩٦٧ ، قام (جان بول سارتر) بزيارة مصر واسرائيل ، ثم أصدر عددا من مجلته الأزمنة الحديثة) عن النزاع العربى الاسرائيلى ، وكان هذا العدد ضخما ، وقد خصص نصفه للعرب ، والنصف الآخر للاسرائيليين .

وجهتان للنظر مختلفتان . وكيف تلتقيان ؟

كان (جان بول سارتر) قد زار قرية كمشيش فى المنوفية ، عندما أثيرت قضية الاقطاع الجديد فى سبيل سيطرة أصحاب مراكز القوى . واعدت له القاعة فى بيت كبير القرية ، ورأس العائلة فى كمشيش ، لتكون مسرحا ، وجلس (سارتر)ومعه (سيمون دى بوفوار) ، وحفنة من المترجمين المصريين الشيوعيين ، ليديروا المناقشة بين الاديب الفرنسى ، وبين الفلاحين المصريين ، وأدرك (سارتر) اسرار

اللعبة ، وخرج من القاعدة ليتفرج على حظائر خيول حفيد كبير القرية ، وهى محبوسة ، وقد وضعت على أبوابها أختام الشمع الاحمر ، وضحك (سارتر) وقال كلمة لا زلت أذكرها :

ـ لقد سجنوا الرجل •• فلماذا سجنوا الخيول ؟

وفى بيت صغير لكبير القرية ، وهو حفيد صاحب البيت ، الكبير ، شاهدت صورا فوتوغرافية على الجدران وكانت منها صور لانور السادات مع هؤلاء الناس ، الذين اعتزوا بأعظم أبناء هـــذا الاقليم المصرى ، فوضعوا صورته معهم داخل الاطارات ، وعلقوها على الجدران •

كان الحقد هو الذى صنع مأساة كمشيش ••

وكان الحب هو الذى وضع صور السادات داخل اطارات مذهبـــة على جـــدران البيت الصغير فى كمشيش •

وبعد زيارة سارتر لمصر واسرائيل ، أصبح الرجل يؤمن بأن اسرائيل تستحق الحياة ، وأن مصر تبحث عن ابن لها يمنحها الحياة •

وفى عدد مجلة (الازمنة الحديثة) وهى مجلة (سارتر) ظهر للعالم الاوروبى أن العرب لم يستطيعوا تقديم الدليل على الشىء الهام والخطير ، وهو ان الفلسطينيين يجب أن يكون لهم وطن مثل الاسرائيليين لان كتاب العرب كانوا يتحدثون عن اللاجئين لا عن حقوق شعب فلسطين .

ولكن السادات محا كلمة (لاجىء) من قاموس السياسة العربية ووضع بديلا لها وهى كلمة (فلسطينى) .. ثم استطاع بعد ذلك أن يمحو كلمة (لاجىء) من قاموس السياسة العالمية ، وأصبح ساسة العالم يتحدثون اليوم عن فلسطين ، والفلسطينيين .

ذات يوم قال عبد الناصر فى احدى خطبه الانفعالية بعد أن يئس من نضال العرب اننا سنصبح كلنا شعبا من اللاجئين ، لو استمرت اسرائيل فى التوسع !

وأسقط السادات نهائيا فكرة اللاجئين ، ووضع مكانها فكرة الفلسطينيين ، وقد اعترفت أمريكا بحقوق شعب فلسطين بل ان اسرائيل نفسها إعترفت بالفلسطينيين حتى أصبح لهم مقعد فى محادثات القاهرة التى رفضوا حضورها ! ..

فلسطين لها ممثل فى الامم المتحدة .. بعـــد نتصارات أكتوبر . فلسطين لهامقعدفىمؤتمرالقاهرة.. بعد زيارة السلام التى قام بها السادات الى القدس ، ولكنها لا تجلس على المقعد .

واين كانت فلسطين ؟

لاجئون فى الخيام ، وارهابيون يستبيحون دماء الابرياء فى ميونيخ وغيرها وخاطفو طائرات ، وبعضهم رواد بارات وكابريهات .

هذه كانت صورة الفلسطينى فى ذهن الرجـــل الاوروبى ، قبل أن يصحح السادات الصورة ،ويجعل العرب هم القوة السادسة فى العالم ، ثم يرغم الدنيا على احترام العربى والفلسطينى .

اننا يجب أن نتحدث بصراحة ، بعد أن ســقط جدار الخوف الذى بنيناه بأنفسنا ، عندما اعتقدنا أننا نحارب اسرائيل فى مطارات العالم . وعلىمناصد المقاهى والبارات والكابريهات .

الحرب هى الحرب

ومن حق الذين عبروا قناة الســويس ، وحطمــوا

خط بارليف ، وخاضوا معارك الدبابات فوق أرض سيناء أن يتحدثوا عن السلام •

الارهاب ، والرعب ، والشتات ، والضياع ثم ماذا تكون النتائج ؟

لا شيء •• لا شيء غير ارهاب ورعب وشتات وضياع •

الايام تمر ، والسنوات تمر ، ودعاة الغطرسة لا يحاربون ولا يخوضون المعارك . ويطالبون شعب مصر بأن يحارب لهم •

منذ أكتوبر ١٩٧٣ حتى نوفمبر ١٩٧٧ ، مرت أربع سنوات ، ولا زالوا يتفرجون على المأساة • وكأنهم يمهدون كى تخوض مصر الحرب الخامسة مع اسرائيل •

السوفييت ملأوا مخازن الاسلحة فى ليبيا،وأخذوا منها الدولارات • وهم يعلمون أن ليبيا لم تحارب ولن تحارب ، وليس فى استطاعتها تجنيد ربع مليون جندى كما تفعل مصر التى تأخذ اللقمة من فم أبنائها لتشترى بندقية تدافع بها عن ليبيا •

والسوفييت يرفضون حتى تقديم قطع الغيار للسلاح فى مصر .

وذات يوم قال راديو طرابلس : أن المصريين يستطيعون محاربة اسرائيل بالعصى والطوب .. وهم يريدون فناء شعب مصر ، حتى تتحقق زعامة القذافى أمين الامة العربية !! ..

أيها المصريون .. حاربوا اسرائيل بالعصى والطوب ، وموتوا ما أجل القضية .. من أجل المبادىء .. ومن أجل شرف الامة العربية .. ولكن بشرط واحد هو الا تطلبوا سلاحى الذى أضعه فى المخازن .. وإياكم أن تطلبوا منى صفيحة بنزين واحدة تحرك لكم ربع دبابة .

ان أنور السادات يتحدث بأسلوب الحضارة التى ورثها من سبعة آلاف عام ولا يستبيح لنفسه الكلام بأسلوب الذين خانوا أنفسهم وشعوبهم عندما خانوا مصر صانعة مجدهم وكيانهم ووجودهم .

سنوات طوال عراض ، بعد نصر أكتوبر العظيم وأنتم تعيشون فى الرفاهية ، وأنا أقف فى الطابور لاحصل على رغيف خبز . وتريدون منى أن أحارب

لكم حربا خامسة ، وأن ألقى بولدى فى النار من أجلكم، وأن اختلس اللقمة من فم ابنتى لاشترى السلاح •

بصراحة :

لو كان حلا منفردا فلن أقبله رغم أنكم لم تحلوا مشاكلكم معى ، وأنا أخ لكم •

حملت عنكم العبء ، وحاربت من أجلكم ، حتى انتصرت فماذا فعلتم معى فى مسيرة الكفاح والنضال • اصبح أبنائى اجراء ، يقيمون لكم الحضارة .

ان مصر غنية وليست فقيرة • ولم تكن فى حاجة الى مساعدات أو معونات لو أنها اغلقت بابها على نفسها ، ومنحت أبناءها حق الحياة • ولكنها اضاعت ثروتها ، وضحت بأبنائها من أجل السلام لكم ، لا لنفسها وحدها .

مصر تملك فى هذه اللحظة ، وفى كل لحظة ، أن تصبح سويسرا جديدة فى عالم الصراعات ، ولها من الموقع والحضارة والقدرة ما يمكنها من ذلك • فهى قلب الدنيا كلها ، قبل أن تكون قلب العالم العربى •• وانظروا الى خريطة العالم •

لو أعلنت مصر حيادها الآن ، لاصبحت أعظم من سويسرا فى حيادها بين دول أوربا ، لان حياد مصر هو حياد العالم كله بكل قاراته .

ولكن مصر العربية منحت قلبها للعرب ، لانها قلب العرب ، وهذا هو قدرها .

عندما أعلن فارس السلام أنه يستعد للذهاب الى القدس ليحقق السلام ، صاح بعضهم فى غضب ، وترنح بعضهم فى ذهول ، وعارض آخرون ، ورفض العاجزون .

وماذا كانوا يقولون لو أن السادات دعا (مناحم بيجين) الى القاهرة ليوقع معه معاهدة سلام ؟

أقول لكم الحقيقة .. كل الحقيقة :

لقد عرض زعماء اسرائيل ابتداء من (دافيد بن جوريون) حتى (جولدا مائير) أن يحضروا الى القاهرة لمقابلة عبد الناصر ، والاتفاق معه على السلام. ورفض عبد الناصر فى عصره مبادرات زعماء اسرائيل ولم يكن فى استطاعته تبولها ، لا بسبب المبادىء كما يتخيل بعض أدعياء السياسة أو الزعامة ولكن لسبب آخر هو أن المرحلة السياسية التى كان يعبرها، لاتتيح له الوصول الى هذا اللقاء من أجل السلام .

لقد تقابل جمال عبد الناصر الضابط فى جيش مصر مع ضباط اسرائيل فى الفالوجا وتفاوض معهم عن أجل الانسحاب من الموقع المحاصر خلال حرب ١٩٤٨ ٠

ولكن عبد الناصر الزعيم الداعية للقومية العربية، لم يكن فى استطاعته مقابلة زعماء اسرائيل ، وهو فى قمة الزعامة الداعية للقومية العربية ، خـــلال فترة الانصهار التى أدت الى أشياء كثيرة فى حيـــــاة الشعب العربى ٠

كان يفجر الثورات فى كل أرض مستعمرة ، وكان يلهب المشاعر بالدعوة الى وحدة العرب ، وقوميـــــة العرب ٠

تلك مرحلة من مراحل التاريخ ، وقد انتهت المرحلة وبدأت مرحلة أخرى جديدة ، والتاريخ قد يعيد نفسه ولكنه لا يرجع الى الوراء ٠ لان الحياة البشرية تتقدم دائما الى الامام ٠

ان التاريخ له خطوات أسرع من خطواتنا فى بعض العصور ٠

ولذلك كانت قدما السادات ، وهما قدمان ثابتتان كما قلت لك ، أسرع من خطوات الزمن ٠

ثم تلقى السادات الدعوة الرسمية لزيارة القدس بعد عودته من دمشق ، حيث عقد مؤتمرا صحفيا أكد فيه كل مبادئه واتجاهاته الثابتة فى قضية السلام .

وقبل فارس السلام دعوة السلام . وصدر بيان رسمى جاء فيه :

وافق الرئيس محمد أنور الســـادات على زيارة القدس وسيؤدى الرئيس صلاة العيد الاضحى المبارك فى المسجد الاقصى وستبدأ الزيارة مساء بعد غد السبت ٩ من ذى الحجة عام ١٣٩٧ . الموافق ١٩ من نوفمبر ١٩٧٧ . بناء على الرسالة التى تلقاها من الرئيس كارتر ، مرفقا بها دعوة حكومة اسرائيل .

وفى صباح الاحد ١٠ من ذى الحجة عام ١٣٩٧ الموافق ٢٠ من نوفمبر ١٩٧٧ ، يؤدى الرئيس السادات صلاة عيد الاضحى المبارك فى المسجد الاقصى مع أبناء الشعب الفلسطينى .

وكان الرئيس قد اعتاد أن يؤدى صلاة العيد فى شبه جزيرة سيناء بعد أن حررتها حرب رمضان ـ

أكتوبر الظافرة مع الجنود الابطال والضباط البواسل ومع أهالى شبه جزيرة سيناء .

لكن نداء السلام القائم على العدل قد دعا الرئيس السادات ليذهب هذا العام ليؤدى صلاة عيد الاضحى المبارك بالمسجد الاقصى فلبى النداء .

ورئيس جمهورية مصر العربية حينما يلبى نداء السلام ، ويقرر الذهاب الى القدس فانما يلبيه باسم المطالب المشروعة والعادلة للشعب العربى كله ،ولشعب فلسطين درءا لأخطار تهدد سكان المنطقة ، بل وتهدد الانسانية كلها بالاهوال . وحقنا لدماء الضحايا والشهداء ووقفا لنزيف التضحية والجهد والطاقة .

والرئيس السادات ، وهو المؤمن بعدالة القضية العربية يلبى الدعوة لزيارة القدس باسم المسئولية القومية التى يتحملها متجاوزا أية حساسية فى مواجهة خصومه ومؤمنا فى نفس الوقت بأن طرح الحقائق بشكل مباشر ، كما سيفعل الرئيس السادات ـ فى لقائه بأعضاء الكنيست ، بعد ظهر يوم الاحد القادم ـ أقوى فى التبصير بها ، من طرقها بأساليب طويلة وملتوية .

وعندما تتم رحلة السلام فى مناخ كالذى تتم فيه:

بعد أن استعاد العرب عزتهم بحرب أكتوبر فهى تتم اذن فى ظروف لاتحكمها روح الهزيمة ولا تقيدها خشية سوء تفسير خاصة وهى تستهدف الحل الشامل للقضية العربية .

ان المسئولية التاريخيه التى يجب أن يتحملها قادة الامة العربية اليوم اصبحت تحكم عليهم بان يعملوا على اقرار السلام فى المنطقة ، طالما انه سلام عادل يستهدف تحرير الارض العربية التى احتلت بعد هزيمة ١٩٦٧ وتقرير الحقوق المشروعة لعرب فلسطين .

والرئيس السادات يتحمل اليوم مسئوليته القومية ولا يهدر فرصة تسنح وصولا الى هذا السلام العادل .

والله يوفق الامة العربية الى تحقيق ما ترنو اليه من أهداف . »

ثم بدات الرحلة

وسار فارس السلام . بقدمين ثابتتين ..فاهتزت أقدام الضعفاء ، وترنحت أقدام المستضعفين ، واختلد أقدام الضائعين .

لم تكن لهم أقدام ثابتة مثل قدميه ·· وقد داس فوق الخطر ، لانه عندما تحدث عن قدميه الثابتتين ، كانت راسه فوق هامات السحاب ، وكانت عينـــاه تنظران الى المحراب وتدمعان ··

انه محراب المسجد الاقصى الذى ضاع منه منبر صلاح الدين ··

الصلاة.. والسلام

بعد انتصار صلاح الدين فى معركة حطين ، خلع خوذته ، ودرعه ، والقى بسيفه ورمحه • وترك فرسه ثم خلع نعليه وركع وصلى ركعتين على رمال حطين •

وبعد انتصار السادات فى معركة أكتوبر ، كان يصلى صلاة عيد الاضحى فوق رمال سيناء •

ويحكى لنا التاريخ ماذا فعل صلاح الدين بعد انتصار حطين ، فقد دخل بيت المقدس ، بعدان أخلاها من الصليبيين ، ماشيا على قدميه بلا سلاح ، ومعه جنوده مشاة بغير سلاح ، وعندما وصل الى باب المسجد الاقصى خلع نعليه واتجه نحو القبلة وصلى ركعتين ، ثم أمر بصنع منبر فى القاهرة كتذكار لهذا الانتصار •

ومنابر المساجد والجوامع فى الدنيا كلها كانت تصنع فى القاهرة ، وحتى باب الكعبة كان يصنع فى القاهرة • وكان بعض سلاطين مصر يتباهون ويتبارون بصنع باب مصفح بالذهب والفضة للكعبة المشرفة •

وعندما سار أنور السادات على قدميه الى المسجد الاقصى ليصلى صلاة عيد الاضحى ، كما فعل صلاح

الـدين ، قال له خطيب المسجد ان منبر صلاح الدين مفقود وليس له وجـود ، وكان الخطيب يلقى خطبة العيد فوق الارض بلا منبر ، لان منبر صـلاح الدين احترق .

كانت عيناه تغرورقان بالدموع وهو يسير فـوق أحجار الشارع الذى سار فيه الانبياء والخلفاء ، وطالما تخضبت أحجاره بالدماء تحت سيوف الطغاة .

فوق هذه الرقعة الصغيرة من الارض بين الشوارع والحوارى ، اجتمعت كل ديانات السماء .. موسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم السلام . اسمى دعوات للسماء قـامت فوق هـذه الارض . الصـلاة للالـه الواحد ، كانت صوت الانسان فوق هذا المكان الصغير فى مساحته العظيم فى ساحته .

حائط المبكى حيث كان معبد (سليمان بن داوود) ملك اسرائيل ونبى اسرائيل ، وهو المعبد الذى أقامه سليمان لعبادة الله .

كنيسة القيامة ، وكنيسة مريم العذراء . وقبر المسيح عليه السلام ، تضاء فيه الشموع بغير نار فى هذا المكان .

قبة الصخرة التى كانت مسرى محمد عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فى هذا المكان .

والمسجد الاقصى ثانى الحرمين وأولى القبلتين ، اتجه اليه المسلمون فى الصلاة عند البداية ، ثم إنتهوا الى الحرم المكى الشريف وهو بيت الله ، ولست أريد أن أحدثك عن تاريخ هذه الاماكن المقدسة ولكننى أريد. أن أحدثك عن مكان هذه الاماكن فى نفس البشر على اختلاف الديانات والمعتقدات ، لان السادات عندما ذهب الى القدس كان من هدفه أن يصلى صلاة عيد الاضحى فى المسجد الاقصى ، وهذا أمل تحقق له ، واستطاع فى صلاته أن يبلغ صوت الفلسطينيين الى كل من يرى ويسمع فى كل أرجاء الارض ، لان خطيب المسجد قال كلمته التى لم تسمعها البشرية من قبل خلال ثلاثين عاما من الحروب والدمار ، وكانت كلمة الاسلام والسلام والاقمار الصناعية التى نقلت هذه الصلاة استطاعت الوصول الى عيون البشر وآذانهم ليعرفوا الحقيقة .

ولو أن العرب أنفقوا كل ما يملكون ما استطاعوا الوصول الى هذا الهدف وهو أن يعرف البشر حقيقة النزاع العربى الاسرائيلى . ليس هو نزاع على أرض ولكنه نزاع على وجود وكيان لان أرض الله واسعة وهى تتسع لكل البشر ، وكان يمكن أن تقام دولة اسرائيل فى أوغندا عندما حدث الاتفاق بين تيودور هيرتزل وبين العتاة من صناع الامبراطورية البريطانية ،وكان يمكن أن تقام دولة اسرائيل فى الارجنتين كما كان

يعلم حكماء صهيون • ولكن نظرة اليهود اتجهت نحو فلسطين لاسباب تاريخية أو عقائدية وأرادوا اقامة دولتهم فوق هذه الارض لاسباب لم يكن للعرب دخل فيها لان العرب لم يضطهدوا اليهود فى أى وقت من الاوقات ولكن أوربا هى التى اضطهدتهم وركبت فيهم وفيهـا عقدة الذنب ، وقـد اضطر (نابليـون بونابرت) الى اعطاء وعد لليهود باقامة دولة لهم فوق أرض فلسطين قبل وعد بلفور بسبب اضطهاد اليهود فى فرنسا وألمـانيا قبل ظهور (بونابرت) ولـكن (بونابرت) لم يستطع تحقيق أحلامه فى امبراطورية الشرق ، فذهب وعده أدراج الرياح •

أما بريطانيا التى أعطت وعد بلفور لليهـود فى الحرب العالمية الاولى فانها كانت تشعر أيضا بعقدة الذنب ، لان الامبراطورية البريطانية فى عز سطوتها وقوتها كانت تضطهد اليهود ، وكانوا يكتبون على أبواب الفنادق الكبرى فى لندن •

« ممنوع دخول اليهود والكلاب » •

هذه الرواسب هى التى دفعت اليهـود الى البحث عن ملجأ •

ولكن كيف كان المسلمون يعاملون اليهود ؟

عندما سقطت الدولة الاسلامية فى الاندلس،وقامت

محاكم التفتيش ، هرب اليهود من أرض الاندلس الى مصر فى عهد السلطان صلاح الدين ، وكان على رأسهم (موسى بن ميمون) الفيلسوف اليهودى تلميذ (ابن رشد) ، وكان قد تظاهر باعتناق الاسلام هو وغيره من اليهود طلبا للخلاص من محاكم التفتيش التى لم تكن تعرف غير الحكم بالاعدام ٠

وعندما احتضنت مصر هؤلاء اليهود وأصبح(موسى ابن ميمون) هو الطبيب الخاص للسلطان صلاح الدين اعترف له بأنه يهودى وليس مسلما ، فجمع السلطان العلماء وسألهم عن رأيهم فى هذا الرجل ، فقال علماء الاسلام الكلمة الخالدة الباقية :

« لا اكراه فى الدين » ٠

وعاد موسى بن ميمون الى يهوديته وأصبح رئيس الطائفة اليهودية فى مصر ، وطبيب السلطان ٠

هذه هى سماحة الاسلام ، وهذا هو تسامح مصر ٠

ان قلب مصر يتسع لكل الحب لكل الشعوب ولكل الاجناس والديانات ٠ وعندما كان أنور الساداتيخطو خطواته الواثقة بين المسجد الاقصى وقبة الصخرة ،

وكنيسة القيامة وعلى مشارف حائط المبكى انما كان يخطو خطوة مصر التى لم تعرف الحقد بل عرفت

الحب واحتضنت كل الافكار والمذاهب والديانات بغير تفريق ولكنها رفضت كل فكر أو كل مذهب يستعبد الانسان أو يحاول استعباد الانسان ٠

لقد أدى الرئيس السادات الصلاة فى المسجد الاقصى ، وكانت صلاته من أجل السلام ٠ ولكن أعداء السلام ممن يزعمون أنهم دعاة السلام ، قالوا كلمتهم الخاسرة ..... الرفض ٠

ان الرفض مستمر ٠ وسيستمر بناء على التعليمات الصادرة من موسكو ، التى تعتقد انها تحارب السادات ولا تريد أن تفهم الامر على حقيقته ، وهو أن الشعب المصرى كله يؤيد السادات ، بل ان فارس السلام نفسه لا يصدر قرارا الا من نبض الشعب المصرى ٠

وكان رجل الشارع فى القاهرة أذكى من هؤلاء محترفى السياسة الرافضين ، فانه عندما تلقى نبأ زيارة فارس السلام للقدس ، لم يعلق عليها فى بادىء الامر ، بسبب الذهول المفاجىء ، وبعد أنزالت الصدمة بدأ يفكر ويقدر ، ثم قال كلمته التى دوت فى العالم مع دوى كلمات قائده وزعيمه ..... نعم ٠

ان قرار السلام الذى اتخذه فارس السلام ، من أخطر قرارات التاريخ البشرى ٠ وكان من حقنا أن نصطدم ،ونذهل عندما سمعناه أول مرة ٠

انه أخطر من قرار انهاء الحرب العالمية الثانية ، عندما دخل الحلفاء برلين ٠ لاننا كنا نتوقع انهاء هذه

الحرب بعد انتصارات الحلفاء فى أوروبا ، وفى معركة العلمين ، وفى معركة ليننجراد ، فلم تكن هناك صدمة ٠

وكان تفكيرنا بعد انتصارات أكتوبر العظيمة ، يتجه الى طريقين : فاما سلام تفرضه القوتان الاعظم على اسرائيل ، واما حرب خامسة مع اسرائيل لا يعلم مداها الا الله ٠ وفى الحالتين كانت مصر هى التى تقوم بدورها على مستوى السياسة العالمية،وعلى مستوى اعادة تسليح الجيش المصرى ، وتنويع مصادر سلاحه ، بعد امتناع السوفييت عن تسليحه ٠

وأراد السوفييت وضع المشكلة كلها فى احدى ثلاجات سيبريا ٠ وسحبوها من منطقة المياه الدافئة فى البحر الابيض المتوسط ، وظنوا أن مصر لا تستطيع لقيام بأى دور فى حل مشكلة الحرب والسلام .

كانت حسابات موسكو ترصد لنفسها خطا سياسيا يقول :

ـ ماذا تستطيع مصر أن تفعل بغير السوريين ؟

ولكنهم لم يسألوا أنفسهم :

ـ ماذا يستطيع حكام دمشق أن يفعلوا بغير مصر ؟

ـ وبنى السوفيت سياستهم ذات الوجهين على اساسات وهمية :

● حزب البعث السورى ، وحزب البعث العراقى ملك يمينهم أو يسارهم على الاصح ٠

● اليمن الديمقراطية الشعبية يسارية العروبة ، أو عربية اليسار ، وسمها كما شئت ٠

● الجزائر ماركسية الاسلام ، أو اسلامية الماركسية ، وسمها أيضا بما شئت ٠

● ليبيا القذافى ورثتها موسكو داخل الشعارات، فتوهم المريض أن الناصرية يجب أن تكون معموسكو لتتحقق له الزعامة التى كانت لعبد الناصر ، ولكنه اشترط على زعماء الكرملين اعتناق الاسلام ، طبقا للنظرية الثالثة ٠

ثم جرى العرب الاخرون وراء دعاة الرفض ٠

هذا الوجه الاول للسياسة السوفييتية فى الشرق الاوسط ، جعلهم يعتقدونأن جبهة الرفض تستطيع مقاومة كل خطوة تخطوها مصر نحو الحرب أو السلام ثم وضعوا المنظمات الفلسطينية فى جيب سورية ٠ وظنوا أنه لا أحد يستطيع القيام بأى خطوة بدون الفلسطينيين ، وبذلك لا تملك مصر التحرك فى أى اتجاه ٠

أما الوجه الثانى للسياسة السوفييتية فى الشرق الاوسط ، فهو القرار الدائم المكتوب والمنطوقبمناسبة

او بغير مناسبة ، وهو تأييـــد العرب فى مطالبهم بالانسحاب من الاراضى المحتلة بعد يونيو ١٩٦٧ ، وحقوق شعب فلسطين •

متى ؟ لا احد يدرى •

كيف ؟ لا أحد يجيب

لعبة مثل ألعاب الحبال فى السيرك •

عندما طلبت مصر قطع غيار للسلاح السوفييتى خلال حرب أكتوبر ، تدخل الرئيس الجزائرى هوارى بومدين فى شجاعة وأصالة العربي ، وسافر الى موسكو وطلب قطع الغيار ، فخجل قادة الكرملين ، وفكروا فى حيلة يرفضون بها الطلب ، وقالوا للرئيس الجزائرى :

نريد مائة مليون دولار •

ودفـــع الرئيس بومدين المـائة مليـــون دولار ، واعتقد أنه ، فى تلك الليلة لم ينم • بسبب هـــذه المساومة القذرة •

ماذا كان يحدث لو انه قال لهم انه لا يملك هـذا المبلغ ؟

كانوا سيرفضون طلبه فى أدب جم ٠

لم يقف السوفييت الى جانب العرب فى أى موقف حاسم من مواقفهم ، بل على العكس ، وقفوا ضد مصر فى أحلك ساعات الحرب ٠ وكانوا سببا فى تدمير مدينة بورسعيد عندما فرغت مخازن السلاح المصرى من الصاروخ (سام ٣) المضاد للطائرات ، وبدأت قوات الدفاع الجوى المصرى تستخدم الاسلحة التقليدية فى مقاومة غارات الطيران الاسرائيلى ٠ بل ان اسرائيل حاولت الاستيلاء على بور سعيد عن طريق الغزو البحرى وردتها قوات مصر الباسلة عن شواطىء بور سعيد ٠

وعندما أقامت أمريكا الخط الجوى المسلح الى اسرائيل حليفتها ٠ أوقف الاتحاد السوفييتى أى امداد بالسلاح الى مصر ٠

حقا ، فى ساعات الضيق ، يعرف العدو والصديق .

ان ما حدث فى حرب أكتوبر ، وما يحدث اليوم ، له سابقة فى تاريخ العلاقات بين مصر وروسيا فقد كان هناك حلف بين (على بك الكبير) حاكم مصر والشام والحجاز واليمن وليبيا ، وبين القيصر الروسى وكانت روسيا منذ قديم الزمان تريد الخروج الى المياه الدافئة فى البحر الابيض المتوسط فمكنها (على بك

الكبير) من الخروج بأساطيلها الي هذه المياه بحكم التحالف مع القيصر الروسى وعندما تعرض (على بك الكبير) للحرب ، وطلب المعونة من حليفه القيصر ، تراجع ، ولم يقدم اليه أى عون ، فانتهى الحلف ورجع القيصر الى المياه الباردة والثلوج فى الشمال ٠

ولكن الذى لا يفهمه صناع السياسات فى الكرملين ومن يتلقون منهم الاوامر من فئة الرافضـــــة ، لم يستوعبوا دروس التـــاريخ التى يعرفهــــا تلاميذ المدارس ٠

مصر هى التى حاربت أوربا كلهامجتمعةبجيوشها وفرسانهـــا فوق أرض فلسطين ، وفوق أرض مصر نفسهـــا أثنـــاء الحروب الصليبية ، وانتصرت ، وصنعت السلام ٠

مصر هى التى حاربت هولاكو التتارى الذى أحرق بغداد ودمر دمشق ، وصنع من جماجم الشهداء فى حلب هرما كان يتفرج عليه ٠ وقد هزمته مصر فى موقعه (عين جالوت) فوق أرض فلسطين وأعادت للارض السلام .

مصر هى التى حطمت أحلام بونابرت فى اقامـــة امبراطورية الشرق وأخرجت جيوشه بعد ثلاث سنوات من الحرب الشعبية التى لم يعرفها شعب من قبل ، فى

الشوارع والحوارى وعند كل باب أو شباك ٠

مصر هى التى اسقطت الامبراطورية البريطانية بعد كفاح دام أكثر من سبعين عاما ٠ ثم جعلت بريطانيا دولة من الدرجة الثانية فى أعقاب حرب ١٩٥٦ ٠

ولم تكن مصر خلال كل تلك الحروب تسعى الى الحرب بل أن الحرب كانت تفرض عليها ، وكان أعظم شرف لها هو أنها تفرض السلام ٠

كل الشعوب والاجناس التى حاربت مصر ، واعتدت عليها لم تحمل لها مصر الحقد والضغائن ولكنها منحتها الحب والسلام ٠

ان شخصية مصر تستطيع دواما امتلاك السلام ، وفارس السلام ابن مصر ، يعبر عن شخصيتها ، وقد عرف هذه الحقيقة كثيرون من الصحفيين والمعلقين السياسيين ، والكتاب فى أرجاء العالم ٠ وقالوا فى أعقاب حرب أكتوبر ان السادات هو الذى يملك كلمة السلام ٠

لا حرب ٠ بعد حرب اكتوبر

وفى اليوم التاسع من نوفمبر ١٩٧٧ ، قال السادات أمام مجلس الشعب المصرى ، فى انتتاح دورته الثانية،

أنه على استعداد للذهاب الى أى مكان فى العالم ، بما فيه الكنيست من أجل أبناء مصر ، والوطن العربى •

وفى يوم ١٢ نوفمبر ١٩٧٧، التقى بأعضاء الكونجرس الامريكى فى لجنة خدمات التسليح وتحدث معهم ووضح اهدافه الرئيسية فى مبادرة السلام ، التى أصبحت تلقى التاييد العالمى •

وكانت تساؤلات أعضاء الكونجرس الامريكى تلقى الاجابة فى تعبير واقعى عن فكر فارس السلام فى أعقد مشكلات العصر الحاضر • ومن واجبنا أن نسجل وقائع هذا التاريخ الحى ، قبل أن يضيع من أيدينا :

ان مشكلة النزاع العربى الاسرائيلى ، هى أصعب مشكلات العصر • وهى ليست مشكلة اقليمية ، ولكنها مشكلة عالمية ، ونحن لا ننسى ما حدث عندما وقع العدوان الثلاثى على مصر فى اكتوبر ١٩٥٦ فقد تبارت القوتان الاعظم من أجل التدخل •

هدد بولجانين الزعيم السوفييتى بضرب لندن بالصواريخ •

وطالب ايزنهاور الرئيس الامريكى ، ووزير خارجيته جون فوستر دالاس بانسحاب المعتدين •

كان هذا هو صدى العدوان الثلاثى ، خلال فترة ساخنة من فترات التاريخ الحديث وهو ما يلفت النظر الى حقائق الوضع المصرى ،الذى يجذب سياسات العالم نحو المنطقة ، بسبب المكان الجغرافى لمصر ،وبسبب القيمة الذاتية لمصر باعتبارها أم للحضارات ٠

وعندما سيطرت مشكلة فيتنام على تيارات السياسة العالمية ٠ كانت المشكلة بسيطة ، لانها صراع أيديولوجى بين الشيوعية والرأسمالية ٠ وقد صمد الشيوعيون فى فيتنام ضد أمريكا ، وكان الحل هو انسحاب القوات الامريكية ٠

ولكن مشكلة النزاع العربى الاسرائيلى ، ليست هى انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة، وليست هى اقامة الدولة الفلسطينية ، فهذه الامور كلها شكلية ومادية ، وتحقيقها لا يؤدى الى حل المشكلة النفسية الاساسية ، وهى التعايش السلمى ٠

الامريكان الذين انسحبوا من فيتنام ، تركوها تصنع حياتها كما تريد ، ولها الحق فى ذلك ، وكل شعب من شعوب الدنيا له حق تقرير مصيره ٠

ولكن ٠٠ كيف تعيش اسرائيل وسط العرب ؟

ان المشكلة ليست مشكلة الارض ، ولكنها مشكلة الانسان •

وذات يوم قال فارس السلام ، ان جـولدا مائر لو أرادت عشرة كيلو من الارض لاعطيتها لها ولـكن ماذا تفعل بها ؟

يذكرنى هذا القول العظيم برواية الارض التى كتبها (تولستوى) ، فقد كان بطل الرواية يريد امتلاك الارض، ومنح فرصة الامتلاك منذ شروق الشمس حتي غروبها •• وظل طالب الارض ، يجرى ، ليمتلك الارض ، منـــذ أشرقت الشمس •• وظل يجرى حتى يمتلك أكبـــر مســـاحة من الأرض •• بينما الشمس تقترب من الغروب •• وكلما اقتربت كان الرجل الذى أراد امتلاك الارض يسرع فى جريه ، ويسرع •• حتى ســـقط ومات ، ولم تصبح له أرض •

مات الانسان ، ولم يمتلك أرضا •

هذه هى قضية النزاع العربى الاسرائيلى ، وهى ليست قضية الارض ، ولكنها قضية الانسان ، أو هى على الاصح قضية السلام •

ان قضيتنا ليست مثل قضية فيتنـــام ، وليس

لها علاقة بالايديولوجية الشيوعية أو الرأسمالية • وهى ليست صراع مذاهب ، ولكنها قضية الانســـان والسلام •

كيف نعيش معا بلا ســـلام ؟

المسجد الاقصى وقبة الصخرة ، وكنيسة القيامـــة وكنيسة العذراء وقبر المسيح عليه السلام ، وحائـــط المبكى ، فوق قطعة واحدة ضيقة من الارض • والثلاثة يتجاورون فى محبة :

محمــد رســـول الله عليه الصـــلاة والســـلام وعيسى عليه السلام ، وموسى عليه السلام •• أنبياء الله يلتقون ، فى القدس ، ويدعون للسلام •

وفارس السلام •

هذا الحديث عنه ، وهــذه هى دعوتــه للسلام ، وهو المؤمن برســـــل السلام ، أنبيـــاء الله عليهم الســـلام •

السؤال الاول والاخير فى مشــــكلة النزاع العربى الاسرائيلى هو ••

كيف نعيش معا فى سلام ؟
من أجل ذلك كانت صلاته فى المسجد الاقصى ، ومن

أجل ذلك كان سلامه وتسليمه على سيد المرسلين ،وعند مسرى محمد صلى الله عليه وسلم ، أمام الانبيـاء في الصعود الى السماء ٠

الله هو السلام ٠٠ ومن نطق باسمه ـ جلت قدرته ، فقد نطق بالسلام ٠ .

الرجل والكلمة

فى البدء كانت الكلمة •

هكذا قالت لنا التوراة •• ولكن الكلمة فى بعض الاحيان تصبح أقوى من الرصاصة •

فالانسان يقول الكلمة ، وتصنعه الكلمة ، ويخضع للكلمة ، ويرفض الكلمة .

ولكن الكلمة هى أشرف ما يملكه الانسان ، لانها هى التى تعبر عن فكر الانسان الناطق ، كما قال أرسطو طاليس ••
والنطق بالعقل والعقل ، والناطق هو المفكر القادر على أن يقول الكلمة •
وفى البدء كانت الكلمة •• للانسان •
وقف الرجل ليقول الكلمة ، فى قلب اسرائيل ، أمام أعضاء الكنيست الاسرائيلى •
كم ألف سنة مضت ، قبل أن يقول الانسان الكلمة ، وهى أقوى من الرصاصة ؟

سبعة آلاف عام ، كان يقول خلالها الانسان المصرى كلمته وينقشها على الصخر والحجر ، ويصنعها تمثالا ، أو مسلة أو هرما ، أو حائطا فى معبد أو مقبرة ، اعتقد أنها تعيد صاحبها الى حياة أخرى •

لا موت للحياة حتى حين يموت الانسان ، لانهسوف يبعث بعثا جديدا فى حياة أخرى ، بعد انتهاء الحياة التى عاشها الانسان •

وكانت الكلمة ، أعظم شىء يملكه انسان •

الانسان هو الكلمة •

حكمة مصر ، وعبقرية مصر . قالت لنا ان الانسان هو الكلمة • وتعلم منها الناس هذه الحكمة العبقرية •

وماذا يكون الانسان بغير كلمة ؟

سليمان الحكيم ، كان يتحدث مع الحيوان والطير والنمل بكلمة الانسان • وكانت هذه هى معجزته كما تحدث عنها القرآن ، وكما جاءت بها التوراة .

حديث طويل عن الكلمة ، اختصره لك فى كلمة •

ماذا كان يريد فارس السلام أن يفعل عندما قام برحلة السلام الى بيت المقدس ؟

كان يريد ان يقول الكلمة ؟

فى البدء كانت الكلمة •• وفى النهاية ستكون الكلمة، وهى كلمة ... السلام .

قال فارس السلام أمام أعضاء الكنيست الاسرائيلى :

السلام لنا جميعا ·· على الارض العربية ، وفى اسرائيل وفى كل مكان فى هذا العالم الكبير · »

كانت كلمته هى كلمة السلام ·

« لكى نقيم السلام ، وكلنا على هذه الارض ، أرض الله ·

كلنا مسلمون ومسيحيون ويهود · نعبد الله ولا

نشرك به أحدا ، وتعاليم الله ووصاياه ، هى حب ، وصدق ، وطهارة وسلام · »

كل كلمة بعد هذه الكلمات ، شرح وتفصيل ، لافكاره السياسية ، فى مبادرة السلام ، ولكن فلسفته الفكرية هى هذه الكلمات ·

ثم استمع اليه ، وهو يقول :

« ان الروح التى تزهق فى الحروب ، هى روح انسان ، سواء كان عربيا أو اسرائيليا ·

ان الزوجة التى تترمل ، هى انسانة ومن حقها أن تعيش فى اسرة سعيـــدة ، ســواء كانت عربية أو اسرائيلية ·

ان الاطفال الابرياء الذين يفقـــدون رعاية الاباء ، وعطفهم هم أطفالنا جميعا ، على أرض العرب ، أو فى

اسرائيل لهم علينا المسئولية الكبرى فى أن نوفر لهم الحاضر الهانىء ، والغد الجميل • »

من أجل كل هذا •• يقول لك فارس السلام :

« من أجل بسمة كل طفل يولد على أرضنا •

« من أجل كل هذا اتخذت قرارى بأن أحضر اليكم رغم كل المحاذير ، لكى أقول كلمتى • »

الكلمة ••

ثم أصبح الرجل هو الكلمة ، وأصبحت الكلمة هى الرجل •

ولكن •• كيف يمكن أن يتحقق السلام العادل ؟

قال السادات فى خطابه التاريخى أمام الكنيست :

وقبل أن أعلن لكم جوابى – أرجو أن أؤكد لكم أننى أعتمد فى هذا الجواب الواضح الصريح ، على عدة حقائق لا مهرب لاحد من الاعتراف بها •

● **الحقيقة الاولى** : انه لا سعادة لاحد على حساب شقاء الآخرين •

● **الحقيقة الثانية** : أنى لم أتحدث ، ولن أتحدث بلغتين •

ولم أتعامل.ولن أتعامل بسياستين •

ولست التقى بأحد ، الا بلغة واحدة وسياسة واحدة ، ووجه واحد •

● **الحقيقة الثالثة** : ان المواجهة المباشرة ، وا ن الخط المستقيم هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول الى الهدف الواضح •

● **الحقيقة الرابعة** : ان دعوة السلام الدائم العادل المبنى على احترام قرارات الامم المتحدة، أصبحت اليوم دعوة العالم كله وأصبحت تعبيرا واضحا عن ارادة المجتمع الدولى . سواء فى العواصم الرسمية التي تصنع السياسة والقرار ، أو على مستوى الرأى العام العالمى الشعبى ، ذلك الرأى العام الذى يؤثر فى صنع السياسة واتخاذ القرار •

● **الحقيقة الخامسة** : ولعلها أبرز الحقائق وأوضحها، ان الامة العربية لا تتحرك فى سعيها من أجل السلام الدائم العادل ، من موقع ضعف أو اهتزاز ، بل انها على العكس تماما تملك من مقومات القوة والاستقرار ، ما يجعل كلمتها نابعة من ارادة صادقة نحو السلام ، صادرة عن ادرك حضارى بأنه لكى نتجنب كارثة محققة علينا وعليكم ، وعلى العالم كله ، فانه لابد من اقرار سلام دائم وعادل ،

لا تزعزعه الانواء ولا تعبث به الشكوك ، ولا يهزه سوء المقاصد ، أو التواء النوايا » .

ثم حدد فارس السلام اجابته على السؤال الكبير :

كيف نحقق السلام الدائم العادل ؟

وقال لاعضاء الكنيست فى صراحة ووضوح ؟

« أنتم تريدون العيش معنا فى هذه المنطقة من العالم وأنا أقول لكم بكل الاخلاص : اننا نرحب بكم بيننابكل الامن والامان » .

ثم وضح نظريته فى الحاجز النفسى الذى يفصل بين العرب واسرائيل ، وهو حاجز الشكوك والغدر ، وخشية الخداع والاوهام حول أى تصرف أو فعل أو قرار كما أنه حاجز من التفسير الحذر الخاطىء لكل حدث أو حديث .

وطالب فارس السلام بتحطيم هذا الحاجز النفسى ، واقامة صرح شامخ للسلام يحمى ولا يهدد ، يشع لاجيالنا القادمة أضواء الرسالة الانسانية نحو البناء ، والتطور ، ورفعة الانسان .

وفى صلاة من أجل السلام قال فارس السلام :

لماذا لا نؤمن بحكمة الخالق التى اوردها فى أمثال سليمان الحكيم .

« الغش فى قلب الذين يفكرون فى الشر ، أما المشيرون بالسلام فلهم فرح » .

« لقمة يابسة ومعها سلام ، خـــير من بيت ملىء بالذبائح مع الخصام » .

لمـاذا لا نردد معا من مزامير داود النبى .

« اليك يارب أصرخ .. أسمع صوت تضرعى اذا استغثت بك ، وأرفع يدى الى محراب قدسك لاتجذبنى مع الاشرار ، ومع فعلة الاثم ، المخاطبين صـحابهم بالسلام والشر . فى قلوبهم . أعطهم حسب فعلهم ، وحسب شر اعمالهم ، أطلب السلامة وأسعى وراءها » .

ثم وضع فى ايجاز دقيق واضح ، الاجابة على السؤال الكبير : كيف يقوم السلام العادل ؟

وكانت اجابته ...

أولا :انهاء الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربيـة التى احتلت فى عام ١٩٦٧ .

ثانيـا : تحقيق الحقوق الاساسية للشعب الفلسطينى

وحقه فى تقرير المصير بما فى ذلك حقه فى اقامة دولته .

ثالثا : حق كل دول المنطقة فى العيش فى سلام داخل حدودها الآمنة والمضمونة عن طريق اجراءات يتفق عليها تحقق الأمن المناسب للحدود الدولية ، بالاضافة الى الضمانات الدولية المناسبة .

رابعا : تلتزم كل دول المنطقة بادارة العلاقات فيما بينها طبقا لاهداف ومبادىء ميثاق الامم المتحدة ، وبصفة خاصة عدم الالتجاء الى القوة ، وحل الخلافات بينهم بالوسائل السلمية .

خامسا : انهاء حالة الحرب القائمة فى المنطقة .

وفى المؤتمر الصحفى الكبير الذى عقده فارس السلام فى القدس ، سأله أحد الصحفيين :

ما هى علاقة مصر بالاتحاد السوفييتى ، وما هى الصعوبات التى سوف يثيرها ؟

فقال الرئيس :

« ان السوفييت لا يرغبون فى عقد مؤتمر جنيف ولا يرغبون حتى فى زيارتى هذه لكم ، وسوف يثيرون المتاعب ،

ولكنه عندما تصل الاطراف المعنية الى اتفـــاق ، فلن تستطيع قوة كبرى أن تمنعة » •

لقد كان هذا السؤال هو أخطر سؤال وجه للرئيس في المؤتمر الصحفي بالقدس ، لانه مرتبط بقضية السلام في هذه المنطقة ورأى السوفييت فيها .

ولكن إحجام نسوفييت عن تأييد قضية السـلام في هذه المرحلة ، انما كان تعبيرا واقعيا عن أن السلام اذا لم يمر بطريق موسكو فانه ليس بسلام • •

ان الذين يدورون في فلك موسكو من الدول الرافضة، نسوا أن الاتحاد السـوفييتي في الحرب العالمية الثانية تحالف مع أعدى أعداء الماركسية ، وهم الحلفاء الغربيون .

ونسوا أن مؤتمر بوتسدام الذى عقد في أعقاب الحـرب للصلح أو للهدنة أو للسلام وتم في قصر (سان سوسى) على مقربة من برلين • • اشترك فيه : ستالين ، وروزفلت وتشرشل • وهم قادة الاتحـاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكيه ، وبريطانيا العظمى ولم يكن تحالف الشيوعية والرأسمالية عيبا • • ولم تكن اجتماعاتهما خيانة ، بل كانت كما قال الشيوعيون ، من أجل السلام العالمي •

ثم قسمت الشيوعية والرأسمالية المـانيا ، بل قسمت

برلين التى لا زالت مقسمة بين الشرق والغرب ، وفيها شعب واحد • وبين القسمين جدار !!

ان تجاهل التاريخ السياسى المعاصر لا يجوز ان يحجب عيوننا عن رؤية الحقائق •

وقد وضح فارس السلام كل الحقائق ، وكان خطابه أمام الكنيست الاسرائيلى ، يمثل وجهة النظر العربية تمثيلا كاملا •

● لا تنازل عن شبر واحد من الارض •

● القدس مدينة مفتوحة لكل أديان السماء •

● حقوق شعب فلسطين فى اقامة دولته لا مساومة عليها •

ثم استمعنا الى تصريح هام وخطير لوزير الخارجية الامريكى (سيروس فانس) فى أعقاب زيارته لبعض بلدان الشرق الاوسط فى أواسط شهر ديسمبر ١٩٧٧ حيث قال ان الولايات المتحدة الامريكية ، لن تنقل سفارتها من تل أبيب الى القدس ، لانها لا تعترف بأن القدس عاصمة لاسرائيل •

وبعد عودة فارس السلام . من رحلة السلام .خرج شعب مصر لاستقباله .ثم اتجه فى ٢٦ نوفمبر ١٩٧٧ الى مجلس الشعب ليقول الكلمة الرائعة الناصعة المشرفة .

لماذا دخلنا الحرب ؟

يقول فارس السلام :

« لقد دخلنا الحرب ، بعد أن فشلت كل مساعينا من أجل السلام .

دخلنا الحرب بعد أن أغلقت القوى الكبرى وكل القوى فى وجوهنا أبواب السلام .

دخلنا الحرب بعد أن صم العالم آذانه عن دعوة السلام التى كنا نبذلها مخلصين ، وأدار لنا الجميع ظهورهم بتصور خاطئ ، اننا ضعفاء واننا جثة هامدة بلا حراك .. لن نتحرك حتى على مدى خمسين عاما .

دخلنا الحرب بعد أن وصلنا الى وضع وصفته مرارا هو : أن نكون أو لا نكون . »

وكيف الطريق الى السلام ؟

يقول لك فارس السلام :

« فكرت ، وكان لابد من مخرج ، يشهد الله كم عانيت وأنا أبحث عن هذا المخرج، ويشهد الله أننى كنت استوحى فيض شعبنا فى كل تفكير أو اتصال .

استمرت معاناتى أياما وأسابيع عديدة ، خلاف على كلمة ، خلاف على ورقة :

هـــذه ورقة أمريكية .. هذه ورقة أمريكيـــة اسرائيليـــة .. حلقة مفرغة جديدة ندخل فيها ونتـــوه ، ونترك الجوهر .

وفكرت الي أن جئت الى هذه القبـــة والى هـــذه القاعة واهتديت الى أصعب قرار » .

ثم اهتزت الدنيا عندما سمعت القرار ، وقام فارس السلام برحلة السلام الى بيت المقدس .

لماذا طلب الســـلام ؟

يقول فارس السلام لاعضاء مجلس الشعب :

« لم اطلب السلام من موقع ضعف أو رجاء ، بـــل سمعتمونى أقول أمام الكنيست أن الامة العربية لاتتحرك فى سعيها من أجل السلام الدائم العادل، من موقع ضعف

أو اهتزاز ، بل انها على العكس تماما ، تملك فى مقومات القوة والاستقرار ما يجعل كلمتها نابعة من ارادة صادقة نحو السلام ٠ »

ثم قدم فارس السلام نتائج رحلته الى ممثلى الشعب، فى كلمات موجزة محددة على عادته :

اولا : لم يعد بوسع أى مسئول اسرائيلى أن يشكك فى صدق رغبة العرب فى التوصل الى سلام عادل ٠

ثانيا : كان هناك اجماع فى اسرائيل وعلى الصعيد الدولى بأن على اسرائيل أن تقوم بمبادرة من جانبها ردا على الخطوة الكبيرة التى قمت بها ٠

ثالثا : أصبحت حقائق القضية معروفة جيدا عند الرأى العام الاسرائيلى دون أى تزييف أو خداع ولعل اهم النقاط التى أصبحت واضحة لكل أسرائيلى هي أحقية الشعب الفلسطينى فى اقامة دولته على أرضه والعودة الى دياره ، لا لتهديد أمن اسرائيل ولكن لممارسة حقه الطبيعى فى الحياة الآمنة داخل الكيان الوطنى الذى يرتضيه

رابعا : اكتسب الموقف العربى تاييدا دوليا ما كان بوسعنا ان نحققه فى عشرات السنين بأى جهد مهما كان خارقا ٠

خامسا : اقتنع عدد كبير من المسئولين الاسرائيليين، بأن العرب لن يقبلوا اية تسوية ما لم تتضمن تحرير الارض العربية المحتلة منذ يونيو ١٩٦٧ واقامة دولة فلسطينية ٠

سادسا : لم يترتب على الزيارة أى تفريط فى حق قانونى أو تاريخى للامة العربية فلا زال الوضع القانونى بيننا وبين اسرائيل كما كان قبل الزيارة ، ولا يمكن أن تفسر الاجراءات التى اتبعت والاحداث التى وقعت فيها على انها تعنى قبولنا لاوضاع لم نكن نقبلها من قبل ٠ وتلاحظون أننى حرصت فى خطابى فى الكنيست على ابراز تمسكنا بحقنا فى القدس العربية وعدم اعترافنا بضمها لاسرائيل ، ولعل البعض يتساءل : اذا كان الموقف القانونى لا زال كما هو وكما كان بلا تغيير فاين حدث التغيير اذن ؟ الاجابة على هذا هو ان التغيير حدث اساسا فى المناخ النفسى الذى يحيط بالمشكلة بحيث أصبح هناك أمل حقيقى فى وضع نهاية للحروب والمعاناة فى المنطقة ويمكن أيضا احلال السلام العادل فى ربوعها ولذلك فان ما قيل عن انهاء الحرب انما ينصب على المستقبل اذا تحققت الشروط الموضوعية التى نضعها أساسا لا غنى عنه لانهاء الحرب ٠

سابعا : واذا كنت قد حرصت على عدم الزام الشعب المصرى باى شيء يؤثر على حقوقه القانونية والتاريخية

أو يقيد حركته فى الحاضر أو المستقبل فانني من باب أولى لم الزم أى طرف عربى آخر بشىء على الاطلاق ، بل انني تطوعت فى أكثر من مناسبه بالتنبيه الى انني لا أتحدث باسم أى من الاشـــقاء العرب ناهيـك عن الارتباط بشىء يلزمهم أو يمس حقوقهم ٠

ثامنا : ان كثيرا من جماعات الضغط لحساب اسرائيل فى دول أخرى قد تم تحييدها كلية ، بل ان بعضها قـد تحول الى قوة ضاغطة على اسرائيل نفسها وسوف يلمس الجميع أبعاد هذا التغيير فى الاسابيع القليلة المقبلة ، وربما كان هناك تساؤل عن النتائج المحددة الملموســة التى خرجنا بها من هذه الخطوة الجسورة وهو تســاؤل مشروع له ما يبرره ٠ للاجابة عليه أقول أنه لم يـكن فى الحسبان طبعا أن نتوصل الى تسـوية شاملة كاملة للنزاع خلال يومين ، كما أنه لم يكن واردا لدينا على الاطلاق أن نعقد اتفاقا منفردا مع اسرائيل ولو كان هذا واردا فى قاموسنا وحساباتنا لما كان أيسر من التوصـل اليه ، فى هذه الحدود لم يكن من المقرر ولا من المتوقع أن نصل الى اتفاق حول جميع جوانب النزاع وانما أمكن الاتفاق مع المسئولين الاسرائيليين على ما يلى :

أولا : ان نتجه جميعا داخل المؤتمر الى بحث المسائل الموضوعية بجدية ولا يضيعون وقتنا فى اشـــكالات اجرائية ٠

ثانيا : ان يكون منطقنا فى البحث داخل المؤتمر ونحن نناقش نظرية الامن التى تطلبها اسرائيل ان يكون هذا المنطق فى البحث بعيدا عن فكرة الاستيلاء على الارض او ضمها ومحصور فقط فى نطاق توفير الامن للجميع فى كل أوضاع عادلة ٠

وبعد ذلك ٠٠ هل هناك كلمات ؟

ان التاريخ الحى الذى نعيش لحظاته ، من الصعب تسجيله وتحليله ٠ ولا زالت عقولنا قاصرة عن استيعابه ٠

ولكن هناك حقيقة واحدة ، لم يختلف عليها أحد غير من نعرفهم ، ونعرف أنهم رافضون ، ولو قدم لهم كل ما يطلبون على صينية من الذهب ٠

هذه الحقيقة هى ان فارس السلام استطاع ان يسمع الدنيا كلها ٠٠ كلمة السلام ٠

يقــول ٠٠

« حينما وقف امام المسجد الاقصى أولى القبلتين ، وثانى الحرمين ، يخطب للعيد ، ويقول : لولا مجيئك ا سمع عنا العالم ، ولما نقل » .

لان الصلاة كانت على تليفزيونات العالم ٠٠ مئات الملايين فى أوربا ، وأمريكا ، الى استراليا ، استمعوا لها ٠ والى شرح قضيته فى المسجد الاقصى ٠ وبعد ذلك تخرج من الرافضين المزايدات ، وتخرج التجارة ٠

السلام والحضارة

منذ آلاف السنين حاربت مصر من أجل الحضارة لا من أجل الحرب .. وكانت كل حروبها دفاعا عن الانسان وحضارة الانسان .

وقيمة الحضارة ، هى قيمة السلام .

وفى تاريخ مصر قيم خاصة ، لابد وان نقف عندها لندرك معنى السلام والحضارة .

ولست اريد أن ابتعد بك فى أعماق التاريخ ، ولكننى أصور لك بعض ملامح التاريخ المصرى فى فهم الحضارة والسلام .

ان الذين مصرتهم شمس مصر ، وحاربوا فى سبيل الحضارة ، عرفوا هذه القيمة الاخيرة .

صلاح الدين الذى حارب أوربا كلها مجتمعة،كانت مصر قد مصرته بشمسها وأدرك معنى حضارتها ، وأنت ترى ذلك فى قلعة القاهرة التى بناها ولا زالت ماثلة وشاهدة على حضارة مصر ، وعلى بابها نقش

شعاره وهو شعار النسر ، وترى ذلك فى سور القاهرة الذى بناه صلاح الدين عند شارع مجرى العيون هو والسواقى السبعة عند فم الخليج .

وقد احتفظت القاهرة بقلعة صلاح الدين وسوره العظيم ، مع أنه مدفون فى ركن خلف الجامع الاموى فى دمشق .

بدأت حروب صلاح الدين ضد الصليبين فى دمياط وهو وزير قبل ان يكون سلطانا ، وانتهت فى بيت المقدس ، عندما أصبح سلطان المسلمين . ولكن هذه الحروب . لم تنته بمعركة حطين ، بل استمرت بعد صلاح الدين وابنائه حتى عصر المماليك .

وليست العبرة هنا فى الحرب وويلاتها ، ولكن العبرة فى السلام المرتبط بالحضارة ، فان سلطان مصر والشام صلاح الدين ، دعا الى السلام فى لحظة انتصاره الحربى ، فدخل القدس ماشيا ، واتجه نحو المسجد الاقصى ، وسار الى قبلته حافيا ، وصلى شكرا لله .

هذه القصة نعيدها ونكررها كثيرا .

ولكن الذى لم نذكره أو نتذكره هو أن الرافضين لصلاح الدين كانوا موجودين فى عصره • وقد وقفوا ضد سياسته فى الحرب والسلام • وقد أرسل اليه زعيم الرافضين فى ذلك الوقت (الحسن الصباح) الذى كانوا يطلقون عليه لقب (شيخ الجبل) اثنين من الفداوية أو الفدائيين مدججين بالخناجر ووصلا الى خيمة السلطان وهو فى حربه وقتاله ، وأرادا اقتحام الخيمة لاغتياله • ولكن حراسه أمسكوا بهما ،ووجدوا الخناجر مربوطة على الذراع والساق لكل واحد منهما، واعترفا بما كانا قد كلفا به من (شيخ الجبل) ، ثم ثبت أن زعيم الرافضين ، كان على اتصال بالصليبيين وبينه وبينهم رسائل ، وهو الذى ادعى أنه يدافع عن الاسلام والمسلمين ويجند الفداوية لهذا الغرض •

ولم ينتقم صلاح الدين لنفسه ، بل انتصر فى حربه ، ثم أعاد السلام الى بيت المقدس • لانه لم يكن يفكر فى الحرب من أجل الحرب ، أو الانتقام من أعدائه فى الداخل ، أو فى سفك دماء البشر •

ولكن الصليبيين أنفسهم كانوا يقتلون انفسهم فى همجية ، ووحشية فظيعة ، وعندما وصلت بعض جيوشهم الى مدينة بيزنطة المسيحية ، ودخلوها «

قتلوا أهلها من المسيحيين وجرت الدماء فيها أنهارا ـ كما يقول التاريخ ـ بسيوف من رفعوا بايديهم الصليب ، وهو برىء منهم •

ان مصر تؤمن بأن الحضارة ، لا تتحقق الا بالسلام • وقد ذكر هذه الحقيقة فارس السلام أنور السادات فى خطبه وأحاديثه لانه يعلم طبيعة مصر ، ودورها الحضارى •

حاربت مصر الصليبيين من أجل السلام للمنطقة، ودفاعا عن حقوق شعوبها ، وعندما انتهت المعركة ، لم تعمل السيف فى المهزومين ، بل كرمتهم وأكرمتهم • ولا زالت أوربا كلها تروى حكايات البطل صلاح الدين، وتعلمها لتلاميذ المدارس •

وحاربت مصر التتار ، وهزمتهم فى موقعة (عين جالوت) فوق أرض فلسطين ، ولكنها لم تفعل بهم ، ما فعلوه مع الشعوب التى داسوا عليها بجيوشهم وخيلهم ، عندما أحرقوا المدن ، وقتلوا الاطفال والنساء والشيوخ ، وبقروا بطون الحبالى • لان مصر تؤمن بالحضارة لا بالهمجية والوحشية • وفكرة الحرب والسلام عندها لا تبتعد عن فكرة الحضارة •

كان يمكن أن تنتهى الحرب مع التتار بمذبحة

رهيبة يستل فيها فرسان مصر سيوفهم ليقضوا قضاء مبرما على جيوش الغزاة ، ولكن هـذا لم يحدث ٠

ان مصر لا تسفك الدماء ، ولا تقاتل من أجـــل الحرب ولكن من أجل السلام ٠

وكانت مصر هي التي علقت في رقبة محمد على اكبر وصمة عار ، عندما قام بمذبحة المماليك في القلعة ، لانها ترفض بما تمليه عليها حضارتها ان تكون الحرب من أجل سفك الدماء ، أو أن تكون خطط السياسـة مرتبطة بابادة البشر ، مع ان شعب مصر قاسى فى حكم المماليك الاهوال والمصائب ٠ ولكنه رفض أن يذبحوا ، بل ان المصريين آووا بعض المماليك في بيوتهم ، كما طلب كبار المشايخ من محمد على أن يعفو عن آخرين ٠

ان الحضارة ضد الحقد والكراهية ، والشعب الذى منح البشرية حضارته منذ فجر التاريخ ، لا يمكن أن يكون شعبا همجيا منتقما ، لانه يعطى دائما والعطاء عنده مستمر ٠

فى عام ١٩٥٦ كان الدكتور عبد القادر حاتم قد وصل الى لندن ، فى أعقاب معارك العدوان الثلاثى ، وقـال للصحفيين الانجليز فى المطار ــ نريد أن ننسى الحقـد والمرارة ونبدأ صفحة جديدة من أجل السلام ٠

وتعجب كثيرون من هذه الكلمات التى يقولها رجل من أبناء مصر التى لا زالت جراحها تسيل بالدماء •

ولكن هذه الكلمات ليست غريبة على لسان أى ابن من أبناء مصر ، لان حضارتها علمتهم السلام •

لقد حارب المصريون حملة بونابرت فى مطلع العصر الحديث أكثر من ثلاث سنوات ، ودارت فى القاهرة وبولاق معارك الشوارع والحارات ، وخرجت الحملة الفرنسية من مصر ، فماذا كان موقف المصريين بعد الغزو وخروج المعتدين ؟

لقد فتحت مصر كل أبوابها ونواديها للثقافة الفرنسية والمدنية الفرنسية ، وأدرك المصريون بفهم حضارى عميق ان هناك أشياء جديدة فى العالم الاوروبى ومن واجبهم كشعب متحضر الاستفادة من المدنية الجديدة ، لان الحضارة التى تقيم دعائم السلام ،تعطى وتأخذ من المدنيات والثقافات ، ما ينمي قيمة هذه الحضارة الاصيلة •

هذا الرجل الازهرى الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ، يقف أمام مدنية فرنسا مبهورا ، وهو الذى شاهد ثورة القاهرة ضد الحملة الفرنسية ، وشاهد القتلى

والجرحى،ولكن فكره ارتفع فوق الجراح،حتى فى ساعات النزيف الأليم لان مصر علمته قيم الحضـــــارة ، التى اعترف بها بونابرت عند سفح الاهرامات وقال لجنوده حكمته الشهيرة :

ـ ان أربعين قرنا من الزمان تنظر اليكم .

ثم حدث تمازج بين المصريين والفرنسيين ، بعــد انتهاء الغزو ولم يحقد شباب مصر الذين سافروا الى فرنسا للتعلم ، على الفرنسيين ، الذين قتلوا آباءهم واخوتهم منذ عهد قريب .

ولم تكن حرب الشوارع التى خاضهـــا المصريون ضد بونابرت ، وهزموا جيوشه فيها من أجل الحرب.. ولكنها كانت دفاعا عن حقهم فى الحياة ، وهو دفاع مستمر ، ولكنه فى كل مرة ينتهى الى السلام ، بسبب الحضارة الاصيلة .

ثم كان الاحتلال البريطانى الذى حاربتـــه مصر أكثر من سبعين عاما ، وخاضت معه حروبا شـعبية دامية ، لم يخضها شعب من شعوب الارض .

عندما وصلت طلائع القوات البريطانية بقيـــادة الجنرال ولسلى بعد هزيمة موقعـــة التل الكبير الى

مشارف العباسية خرج رجال حى الحسينية يحملون العصى والنبابيت والسكاكين للوقوف فى وجه الغزاة • عندما وطئت جنودهم أرض مصر فى عام ١٨٨٢ ولكن محافظ القاهرة أسرع الى الاهالى ليمنع عنهم مذبحة رهيبة ، كان يمكن أن تقع لو وقفوا فى وجه القوات المسلحة الغازية •

ان القوة العسكرية والاساطيل والطائرات والدبابات لم تستطع تهديد مصر أو اقتلاع بذرة السلام من قلب مصر •• أكثر من سبعين عاما من السيطرة العسكرية فوق تراب مصر • من أعتى امبراطوريات العالم ، وهى الامبراطورية البريطانية التى قيل أنها لا تغيب عنها الشمس ، ومصر كما هى لا تتبدل ولا تتغير •

حرب ضد العدوان •

وسلام مع الحضارة •

فى ثورة ١٩١٩ هبت مصر هبة كبرى ضد الاحتلال البريطاني ، وكانت بريطانيا هى الدولة الاكبر ، وهى الامبراطورية المنتصرة فى الحرب العالمية الاولى ، ولم يقف أحد فى وجه الامبراطورية البريطانية غير مصر •

ثم استيقظ الشرق كله على صوت مصر ·

ولم تكن ثورة ١٩١٩ كفاحا سلميا أو مظاهرات ولكن كانت حربا شعبية مسلحة ، قام بها شـــعب أعزل ضد أقوى امبراطوريات العالم · ومفهوم الحرب ليست هى حروب الجيوش النظامية المدربة فى مفهوم التكتيك العسكرى فى معظم الاحيان ، ولكنها قد تكون حربا شعبية منظمة بقوى الشعوب ضد الغزاة ·

ولذلك فان مفهوم الحرب عند المصريين يختلف عن مفهوم الحرب عند غيرهم من الشعوب ·

وعندما قامت حرب الشوارع فى مدينة (ستالينجراد) الروسية ضد قوات النازى الالمانية ثم كانت معـــركة (لينينجراد) ضد هذه القوات الغازية اعتقد السوفييت فى وهم من أوهام التاريخ انهم يقومون بحرب الشوارع لاول مرة فى التاريخ ، وهذا هو ما حدث أيضا عندما هاجمت قوات النازى بولندا ، ودارت حرب الشوارع فى العاصمة البولندية (وارسو) ·

ولكن الحقيقة التاريخية تؤكد أن حرب الشـــوارع دارت لاول مرة فى التاريخ فى مدينة المنصورة عنـــدما حاولت قوات لويس التاسع اقتحامها اثناء الحـــروب

الصليبية ، وكانت النساء فى المنصورة يحاربن مع الرجال باستخدام أغطية الاوانى النحاسية واستخدام الابواب والشبابيك فى ضرب الغزاة ، كما استخدمت النساء تراب الفرن الساخن فى الحروب ، وكما استخدمن الماء المغلى تلقين به فوق رءوس الفرسان الصليبيين حتى تم أسر (الملك لويس) فى حارة من حارات المنصورة، بعد تشتيت جيشه وتقتيل فرسانه ٠

وكانت حرب الشوارع والحوارى فى المنصورة أثناء حملة لويس التاسع هى أول حرب شعبية ، وقد كتبت عنها الروايات والمؤلفات ٠

وما حدث فى معارك صلاح الدين قبل ذلك عند انتصاره فى معركة حطين ودخوله بيت المقدس من اجل السلام ٠٠ حدث فى المنصورة ، فان المصريين لم يذبحوا الملك لويس التاسع ، ولم يقتلوا جنوده الاسرى ولكنهم أعلنوا السلام فى لحظة الانتصار وسبب ذلك هو الحضارة ٠

الحرب حتى ضد الاعداء تنتهى بالسلام ٠٠٠

هذه هى مصر ٠٠ وهذه هى حقيقة مصر ، ولذلك فان دعوة السلام التى دعاها أنور السادات لم تكن غريبة عن شعب مصر ، وهى ليست بعيدة عن شعور مصر خلال تاريخها الحضارى الطويل ٠

ان مصر لا تحقد ولا تغضب ولا تنتقم ، ولكنها نطلب السلام باعتبارها أم الحضارات ، وأم الثقافات، وأم المدنيات ..

تأخذ وتعطى من أجل بناء الحضارة ، ولا تقتل ولا تسفك الدماء .. تغتفر كل شيء حتى فى قتل أبنائها، ولكنها لا تترك الثأر من أجل أبنائها .

هذه القصص التى رويت لك بعض اجزائها تؤكد شخصية مصر .

الحرب قدر مكتوب عليها .

السلام قدر تكتبه بيديها .

ولذلك فان الذين لا يفهمون حقيقة مصر ورسالتها فى الحرب والسلام أو فى الحضارة لا يدركون أن ما يقوم به السادات فى دعوة السلام انما هو رسالة حضارية . ترتفع فوق مفهوم التخلف وتؤكد المفهوم القديم الحديث لمصر .

لماذا لا نتفق مع اليهود فى اسرائيل ؟

إن الاتفاق أو الخلاف ليس هو المشكلة وسبب ذلك أن المصريين أو العرب أجمعين لم يختلفوا مع اليهود. ولكننا اختلفنا مع الصهيونية باعتبارها حركة عنصرية توسعية ، فاذا انتهت هذه الحركة ، فلا خلاف .

واذا ارتفعت حركة السلام فوق العنصرية ..
فلماذا نرفض السلام .

نعم .. ان السلام لا يأتى عن طريق موسكو أو واشنطن أو باريس أو لندن أو بكين ... ولكنه يأتى عن طريق الانسان المؤمن بالسلام ... ذلك المطلب الأبدى الأزلى ، الحائر فى ضمير الانسان ... السلام .

وقد أجابت حضارة مصر على هذا المطلب ، اجابة واحدة لم يختلف عليها البشر منذ كانت الحضارة الاولى للانسان ، حتى اليوم .

وهذه الاجابة هى ان السلام لا يستقر الا مع الحضارة وان فترات الحروب والغزوات فى حياة البشر ، كانت فترات ضياع الحضارة أو المدنية على اقل تقدير .

وقد تفقد مصر المنية فى بعض العصور ، ومنها عصرنا الحاضر ، ولكنها لم تفقد الحضارة عبر العصور ، ولن تفقد هذه الحضارة الى آخر العصور . وسبب ذلك هو أنها هى التى انشأت الحضارة ، وأقامت الحضارة ، واحتفظت بالحضارة .

ان فاقد الشىء لا يعطيه ، ولكن الذى يعطى لا يفقد شيئا .

والحضارة عطاء بغير طلب للمقابل ، لانه ليس هناك مقابل للحضارة :

ـ الذى يعطيك نفسه ، ليس فى استطاعتك أن ترد اليه الذى اعطاك وهو صاحب العطاء •

كان يجب عليك ان تعطيه نفسك ، لتصبح نفسا هى نفسك فــلا يحدث بينكما خــلاف حــول النفس •

ولكنه أعطاك ، وليس فى استطاعتك أن ترد العطاء الا بقدر ما تستطيع ، فلماذا تحاور نفسك وأنت لم تكن تملك نفسك ؟

ان المقابل الوحيد للحضارة هو السلام •

الحضارة عطاء ، السلام عطاء والانسان حين يعطى خير من الانسان حين يأخذ •

لا تأخذوا الطفل من أمه •
لا تأخذوا الشباب القوى ليموت فى الحرب •
لا تأخذوا رغيفى لتغمسوه فى دمى •
لا تأخذوا منى الحياة لأموت •
لا تأخذوا ••
أعطونى حــق الحياة •• وحياتى أنا هى السلام والحضارة •

هذه هى مصر •• وهذا هو صوت ابن مصر •

القاهرة قالت: نعم للسلام

الموقف الثابت الذى تعبر عنه مصر دائما ، هو ان حل مشكلة الشرق الاوسط ، لا يمكن ان يتم الا على اسس ثلاثة رئيسية نعيد فيها ونزيد ، وهى :

١ ـ انسحاب اسرائيل من كافة الاراضى العربية التى احتلت بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ .

٢ ـ استعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى ، وتأمين حقه فى تقرير المصير ، واقامة دولته المستقلة .

٣ ـ حق كل دولة من دول المنطقة فى العيش فى سلام وداخل حدود آمنة معترف بها .

وقد ذكرت فى فصول سابقة ، ماذا قال فارس السلام للاسرائيليين فى عقر دارهم ، ولكن بعض أخوتنا العرب اتخذوا موقفا رافضا لزيارة السلام ، حتى قبل أن تتم . وندعو الله أن يهديهم .

وكان الشاعر العربى القديم ، بقول :

اذا رميت أصـــابنى سهمى

فليس لنا أن نصوب السهام الى أخوة لنا لانها تصيبنا قبل أن تصيبهم ، ولكن من واجبنا أن نقف ى وجه القوى التى تدفع أخوة لنا ، حتى يقفوا فى وجه السلام •

ان تجارب التاريخ التى مارستها مصر ، منحت شعبها تلك القوة التى تدفعها دائما الى طريق السلام، والذين يرفضون خطوة السلام ، لا يدركون حقائـــق التاريخ المصرى ، وهو نفصه تاريخ العرب •

مصر فى نضالها وثوراتها وحروبها،كانت ولازالت هى القادرة على حماية النضال العزبى ، فاذا خطت اليوم نحو السلام ، فانها تعمل على صيانة العرب ، ولا تعمل من أجل الحل المنفرد كما زعم الرافضون،ولكن صوت العاطفة ارتفع فوق صوت العقل ، ونحن لا نريد أن نسىء الى الرافضين • كما أساءوا الينا ، والىشعبنا وقائدنا ، فنقول كلمة **أخرى :**

مصر لا تبيع القضية ، لانها هى التى احتضنت

القضية منذ البداية ، وضحت بكل شيء من أجـــل القضية .

لقد كسب فارس السلام مواقع الرأى العام العالمي باعتباره رجل السلام ، ولم يعد فى استطاعة أحد رفض السلام ، غير الرافضين .

ولم يعد الامر قاصرا على الاعمال الرسمية التى تمت أو تتم من أجل الوصول الى السلام الدائم العادل، ولكنه أصبح تعبيرا جماهيريا ، لم تشهده مصر من قبل فقد كان اجتماع عشرات الالوف من أبناء مصر فى ميدان عابدين شيئا لا يوصف .

لقد شهد هذا الميدان أخطر أحـــداث مصر ، وهى أحداث لم تكن مصرية فحسب ، ولكنها كانت تحرك كل الاحداث العربية ولا زالت تحركها .

عندما وقف أحمد عرابى فى هذا الميـــدان ، وأعلن مطالب الشعب المصرى فى وجه الحاكم المستبد الطاغية، اهتزت قوى الاستعمار العـــالمى ، وكتب الممثـــلون الدبلوماسيون للدول الاستعمارية فى القاهرة تقـارير الى دولهم ، قالوا فيها ان ثورة عرابى ستحدث ثورات فى كل أقطار العرب ولن تقوم للاستعمـــار قائمة اذا

نجحت ثورة عرابى فتحركت أوروبا كلها لمحاربة عرابى وثورته ٠

وفى هذا الميدان عبر ثوار ١٩١٩ وأعلنوا النضال الذى حرك كل ثورات العرب ، وكل ثورات الشرق ٠

وفى هذا الميدان وقفت دبابات بريطانيا فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، فكانت بدايات الشرارة لحركات التحرر ضد الاستعمار فى جيلنا ٠

وهنا ٠٠ فى هذا الميدان عبر شعب مصر عن رأيه فى السلام ، أمام فارس السلام ، وكانت كلمته القصيرة تعبيرا عن ارادة شعبه ، وتجارب شعبه الذى مارس الحياة والحضارة أكثر من سبعة آلاف عام ٠

لقد قدم الاسرائيليون فى حفل العشاء الذى أقيم لفارس السلام فى القدس قطعة من (الايس كريم) على شكل هرم مصر اعترافا بحضارة مصر ٠

وقالت الاستاذة أمينة السعيد فى كلمتها المرتجلة الرائعة أمام مؤتمر الاعلام الذى عقد فى القاهرة يوم ١١ ديسمبر ١٩٧٧ « ان الحاخام الاكبر فى اسرائيل قال عن رحلة الرئيس أنها من فعل الله ، لا من فعل الانسان » ٠

ثم قالت ، وهى التى شاهدت رحلة فارس السلام:

« لماذا يبكى الاتحاد السوفييتى على هذه الزيارة، ذلك البكاء الذى يقطع القلوب ؟ ٠

هل نسى الاتحاد السوفييتى انه كان الدولة الثانية التى اعترفت باسرائيل بعد خمس دقائق من قيامها ؟ »

ان رجل الشارع فى القاهرة قال كلمته ، وقال لزعيمه ٠

نعم ٠٠٠

ورأى الشعب المصرى لا يمكن ان يكون ضد العرب او ضد الفلسطينيين ، ولكنه رأى الشعب القادر على صيانة الحقوق فى الحرب والسلام على السواء ٠

ومن خلاصة التجربة ، نستطيع ادراك هذه الحقيقة ، فقد استطاع الرئيس السادات تحطيم الحاجز النفسى الرهيب الذى منع قيام السلام ، كما حطم من قبل خط بارليف ، الذى كان يمنع الانتصار فى الحرب ٠

. منذ قيام اسرائيل ، وهي تريد الصلح مع مصر ، ولكن مصر رفضت الصلح مع اسرائيل من أجل رسالتها الكبرى كدولة القلب للعرب ومن أجل رسالتها الحضارية أيضا ، ومهما كانت أخطاء بعض زعماء اليوم من العرب ضد مصر وشعبهـــا ورئيسها فانها لن تتنازل عن رسالتها ٠

وقبل حرب ١٩٤٨ ، أو خلال هذه الحرب كان اسماعيل صدقى باشا ، الزعيم السياسى الرأسمالى فى تفكيره وتصرفاته ، يعارض فـــكرة اشتراك مصر فى الحرب ، وقد وقفت ضده جماهير الشعب المصرى التى أدركت أنه من واجب مصر مساندة شـــعب فلسطين ، ولم يــكن بين المصريين وبـــين اليهود أى عـــداء أو خصام ٠

لقد عشنا مع اليهود المصريين حياة سلام ٠ وكانت بيننا وبينهم صداقات ، ومعاملات وجوار ، والمصرى لا يفكر أبدا فى التعصب الدينى ، وقد تأكد ذلك عندما حضر بعض الصحفيين اليهود الى مصر وكان منهم صحفى من أصل مصرى ، وكان والده هو (داوود حسنى) الموسيقار الشهير الذى أطلق عليه شعب مصر فى عصره لقب فنان الشعب ، وقد احتفلت مصر بابنها اليهودى الموسيقار ، قبل أيام قليلة من وصول ابنه الصحفى الى القاهرة ٠

موقف مثير ·· جعل الصحفى الاسرائيلى ابنداوود حسنى يضع كفه على خده ·

ولو خيروه اليوم أن يقيم فى القاهرة أو فى تل أبيب، لقال ·· القاهرة ·

القاهرة هى التى صنعت امجاد فنان الشعب داوود حسنى ولا زالت تصونها داخل فكرة الحضارة التى حدثتك عنها ·

ذات يوم سجلوا اسم (داوود حسنى) فى دائرة المعارف العبرية ، ولا زالت ترجمة حياته مكتوبة فى هذا السجل باللغة العبرية ، باعتباره أحد عباقرة اليهود فى العصر الحديث ، ولكن الشىء الوحيد الذى لا تملكه اسرائيل من (داوود حسنى) هو أنه فنان مصرى،لحن أنغام مصر ، وغنى بلغة مصر ، وجدد اللحن والنغم من أجل مصر ·

ليست المشكلة هى اليهودى والمسيحى والمسلم ، ولكن المشكلة هى الحضارة والانسان ·

وكانت مصر تعرف أن اليهود عاشوا حياة العذاب الدموى فى أوروبا خلال عصور طويلة ، بل أن حياتهم فى الاندلس انتهت بسقوط دولة العرب فى تلك

البلاد ، وقد احتضنت مصر وغيرها من البلاد العربية المضطهدين فى كافة أرجاء الارض ، والقضية فى اساسها ليست قضية سياسية ولكنها انسانية .

وهنا أحب أن أتحدث فى كلمات قصيرة الى يهود اسرائيل ، عن رسالة مصر ، التى قامت بحماية اليهود، ليعرفوا حقيقة مصر ، وحضارة مصر .

ـ لا اكراه فى الدين :

عندما جاءت الى مصر طوائف اليهود الهاربين من مذابح محاكم التفتيش فى أسبانيا ، وعلى رأسهم (موسى بن ميمون) استقبلتهم مصر ، وأصبح (موسى بن ميمون) الفيلسوف الطبيب اليهودى ، وتلميذه (ابن رشد) فيلسوف الاسلام ، طبيبا خاصا لسلطان مصر.

وكان (ابن ميمون) قد دخل بلاط السلطان صلاح الدين على انه مسلم .. ثم قال للسلطان أنه يهودى اعتنق الاسلام ليهرب من المذبحة ولم يطرده السلطان من قصره ، ولكنه استفتى علماء الاسلام ،وقالوا الكلمة (لا اكراه فى الدين) .

ولم تكن هذه هى المشكلة أيضا ،فهل يليق بسلطان الاسلام أن يكون طبيبه يهوديا . وقال صلاح الدين

كلمته : موسى بن ميمون ليس هـو طبيب السلطان فحسب ، ولكنه رئيس طائفته اليهودية فى الفسطاط ٠

أوروبا أرغمت الفيلسوف الكبير (اسبينوزا) على ترك يهوديته ، واعتناق المسيحية ٠٠ ليعيش ٠

أوروبا أرغمت والد (كارل ماركس) ، وكان محاميا، على التنازل عن يهوديته ، واعتنـاق المسيحية ٠٠ ليعيش ٠

صورتان متقابلتان ، وفى الصـور المتقـابلة يستطيع الانسان رؤية وجه الحقيقة ، وهى حقيقـة مصر صانعة الحضارات وبانية الثقافات ، وهى التى احتفلت بذكرى (موسى بن ميمون) الفيلسوف الطبيب اليهودى ، ثم احتفلت بذكرى داوود حسنى الموسيقى المغنى اليهودى ، وعندما كان النازى يسفك دماء اليهود كانت مصر تستقبـل الهاربين من النازية وتكرمهم أعظم تكريم ٠

حضارة مصر لا تمـوت ، ولن تموت ، وصدرها أصلب من أن توجـه اليـه طعنات ، ولن تهلكـه الطعنات ٠

عندما أقيمت الجامعة العبرية فى القدس ، حضر حفل افتتاحها (أحمد لطفى السيد باشا) مدير جامعة القاهرة ، وأكد أن هذه الجامعة هى بنت جامعة القاهرة، وليست أكبر من جامعة القاهرة ، ولكن الذين لا يفهمون كلمة مصر لا يدركون هذه المعانى ، ويشدون أطراف أثوابنا لننجذب الى أسفل بينما نحن نريد أن نرفعهم الى أعلى ، بل اننا رفعناهم الى السمو الحضارى فى عالمنا المعاصر .

ومن الاسماء اللامعة فى المجتمع الاسرائيلى كثيرون من صنع مصر : اسرائيل ولفنسون الذى كان أستاذا للغات السامية فى دار العلوم . وفى كلية الآداب ، وهو تلميذ من تلاميذ الدكتور طه حسين وقد نال على يديه درجة الدكتوراه فى الآداب من جامعة القاهرة ، وقد سميت باسم اسرائيل ولفنسون قاعة المكتبة فى الجامعة العبرية فى القدس .

باول كراوس .. الهارب من مذابح النازية الى القاهرة أستاذ فقه اللغة فى كلية الآداب بجامعةالقاهرة، والاستاذ فى الجامعة العبرية بالقدس .. وله قصة طويلة تمثل مأساة الهارب من الموت الى الموت ..وقد نشر رسائل الجاحظ ، واهتم بالفلسفة ، ثم حطم نفسه بنفسه ، بعد أن ماتت زوجته الاولى ، وتزوج

باخرى فى تل أبيب ، ثم شنق نفسه بيده ، داخل شقته فى الزمالك ٠

ماكس مايرهوف ، الطبيب المشهور الذى احتضنته مصر كما احتضنت غيره من علماء اليهود الهاربين من اوروبا ، كانت له عيادته فى مصر ، وكان له صوته فى مصر ٠ ثم ضاع بعد أن خرج من مصر ، فى مدينةلوزان بسويسرا ٠

وقد كان من الشخصيات الشهيرة فى القاهرة ، كان دكتور (ماكس مايرهوف) الهارب من الاضطهاد يجد فى مصر الصدر الحنون كما وجده من قبل طبيب يهودى آخر حدثتك عنه وهو (أبو عمران بن ميمون) الذى وصفه القاضى المسلم الشاعر (ابن سيناء) بقوله :

أرى طب جالينوس للجسم وحده
وطب أبى عمران للعقل والحسم
ولو انه طب الزمان بعلمه
لابراه من داز الجهالة بالعلم

لقد احتفلت القاهرة فى عام ١٩٣٦ بذكرى مضى ٨٠٠ سنة على مولد موسى بن ميمون فيلسوف اليهود الاكبر فى العصور الاسلامية ورئيس الطائفة الاسرائيلية فى

القاهرة والفسطاط ، وكان واسطة الاتصال بين الحضارتين ، واشترك فى الاحتفال كبار المصريين من الاطباء والعلماء والفلاسفة وعلى رأسهم دكتور على ابراهيم باشا عميد كلية الطب والدكتور جورجي صبحي بك الاستاذ بكلية الطب بالجامعة المصرية والعلامة الشيخ مصطفى عبد الرازق أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، كما شارك بالاحتفال الدكتور اسرائيل ولفنسون أستاذ اللغات السامية بدار العلوم والاستاذ (ماكس مايرهوف) طبيب العيون بالقاهرة .

والقى الشاعر خليل مطران قصيدة فى هذا الاحتفال العظيم مجد فيها قيمة الحضارة الاسلامية ، وهى الحضارة التى منحت الفيلسوف اليهودى كل قيمته وقال خليل مطران فى قصيدته :

مصر تهفو الاحرار فى كل عصر

وملاذ المراعين الاباة

هل (موسى) فى مصر من بعدموسى

وكلا الصاحبين ذو آيات

وموسى الاول هو موسى النبى ، وقد كان مصريا

نشا وعاش فى مصر ، أما موسى الثانى فهو موسى بن ميمون الفيلسوف اليهودى الذى علمته مصر السماحة والمقدرة والبراعة بعد أن تعلم من الاسلام الحـــكمة والفلسفة ٠

ان مصر لا تضن على أحد بمعرفتها وحضارتها وثقافتها ، وهى عبر كل العصور قادرة على العطـــاء ماذا أعطت اليوم ما تحب أن تعطيه من قيم عظيمة ومبادىء سامية ، فليس هذا مستغربا فى تاريخها القديم والجديد لانها هى صاحبة العطاء بلا من أو رجاء ٠

مصر تعطى ولا تأخذ ، لان فلسفتها فى الحياة هى العطاء ، والذين يتصورون أنهم يستطيعون اعطاء مصر الدنانير أو الدولارات يخطئون ، لان حياة مصر لا تستطيع تصويرها بالثروة ، ولكننا نقدم صورتها بالعطـــاء الحضارى الذى لا تملكه الثروة ولكنه يملك كل الثروة ٠

العلم والفن والادب والعمارة ٠٠ وكل شىء فى حياة الانسان عبر كل العصور من صنع مصر ٠

حبة القمح زرعتها مصر ، ورغيف الخبز خبزته مصر ، وسلة الفاكهة حملتها مصر ٠

الهرم الاكبر العجيبة الباقية من عجائب الدنيـــا

كلها فوق صـــدر مصر . الاعمـــدة التى أقيمت لترفع بناء الانسان فى ناطحات السحاب ، هى التى علمت الدنيا كيف يقام البناء •

اى صناعة عرفها البشر منذ عصر الحجر ، وعصر النحاس ، وعصر الحديد ، تعلمها البشر من مصر •

الكأس الزجاجية التي تشرب فيها اليوم كانت من صنع مصر •

السرير الذى تنام عليه ، والكرسى الذى تجلس عليه والبيت الذى تعيش فيه •• كان من صنع مصر •

الحلية التي تتحلى بها فتاة حسناء فى كل ارجاء الدنيا والثوب الذى ترتديه غادة جميلة •• صنعته مصر •

العطر الذى تتعطر به ، والزهـــرة التى تحب أن تراها •• من حب مصر ومن زرع مصر •

والعلم الذى تتعلمه اليوم ، وبعد اليوم كان من علم مصر •

ومن أحب مصر فقــد أحب الحياة ، فهى صانعـة

الحياة ، ومن كره مصر فقد كره الحياة وكرهته الحياة لان ارادة الحياة هى التى تبعث الحياة ٠

ان الذين يصادمون ارادة الحياة ، لا يصلون الى شىء ، فالحياة هى السلام ، والموت هو الحرب ٠

والشعوب التى عرفت ويلات الحروب المدمرة أدركت أن الحياة خير من الموت ، وأن الوجود خير من الفناء ، وقد عرف المصريون هذه الحقيقة منذ بداية الخليقة أو منذ كان الانسان موجودا فوق هذه الارض ٠

والذين لا يعرفون معنى الحرب والسلام ، هم الذين لم يدركوا خلال لحظات الفناء أو الوجود ما هو الانسان ؟ ٠

ان أعظم ما كتبه انسان بأى حرف من الحروف الصامتة أو الناطقة كانت كلمة سلام ٠

الحرف الصامت منقوش على صخر ، وهو هرم أو مسلة أو تمثال ٠

والحرف الناطق هو نغمة موسيقى أو كلمة على شفتى انسان ٠ وبكل هذه الحروف الصامتة والناطقة عبرت

مصر عن قيمة الحضارة قبل أن يعبر انسان فوق هذه الارض عن قيمة حضارة الانسان ٠

اذا قالت القاهرة ٠٠ نعم ، فهى الكلمة ، واذا قالت ٠٠ لا ٠٠ فهى الكلمة ، وهى لا تقول نعم أو لا ، بغير فهم ، أو بغير ادراك لانها تملك لا ونعم ، فى الشدة والرخاء ، على السواء ، بغير ذل أو اذلال ٠

وهذا المفهوم لم يصل الى كثيرين ممن اعتقدوا ان مصر فى أزمة اقتصـــادية طارئة ، يمكن أن تذل او تستذل ٠

لا ٠٠ والف الف لا ٠

ان مصر التى فقدت كل ثروتها ، وأصبح اقتصادها تحت الصفر ، هى التى انتصرت بارادتها وقوتها فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ وبهرت العالم ولم تطلب من أحد عونا لاداء معركتها الحاسمة ، وهى معركة من معارك التاريخ ٠

ان معركة مصر فى اليوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ هى المعركة الفاصلة فى تاريخ العرب الحديث ، وهى (حطين) التى انتصر فيها صلاح الدين ٠٠ وهى (عين جالوت) التى انتصر فيها سيف الدين قطز وبيبرس ٠

وهى أكبر قدرا من معركة العلمين التى انتصر فيهـا (الجنرال مونتجومرى) ضد غريمه الالمـانى (الجنرال روميل) فوق صحراء مصر •

معركة فاصلة ، قادها السادات وسـط الظلمات ، ولم يكن عنده مال ولا سلاح غير القليل •• وله جنـد مزقتهم الهزائم المتلاحقة • وخلف أذنيه صوت يدوى بالهزيمة الساحقة الماحقة لو أنه أقدم على القتال •

وعندما انتصرت الضربة المفاجئة القاضية عرفوه وعرفوا قدره ومدوا اليه أيديهم من أجل بقـاء حياتهم وهى حياتنا ، ولسنا ننكر او نتنكر •

كان يقول ان المعركة قادمة لا محالة ، ثم يؤجل، ويعد ، وشعب مصر يطلب من قائده خوض المعركة ، والقائد لا يستطيع ولكنـــه يريد فى ضميره ووجـدانه أن يطيع •

كيف يحارب ؟

القوتان الاعظم فى عالمنا المعاصر ، لا تريدان له ان

يحارب وشعبه يدعوه للحـــرب من أجل الســـلام العادل •

ورث التركة المثقلة بكل ديون المـال والسياسـة والايديولوجية ورجال بريدون التركة كما هى ، حتى تذل مصر ، وتستذل مصر وعالم عربى ممزق الاوصال لا يكاد يفيق من الهزائم •

ثم جمع أنور السادات الاشلاء المهزومة وجعلهـا كيانا عربيا مرة أخرى ، وجمع أطراف نفسه ، وجعل قيادته فكرا وعقيدة من اجل الانسان •• ثم انتصر •

لم ينتصر له أحد فى لحظات الهزيمة ، وانتصروا له جميعا فى لحظات النصر •

تركوه يمضى فى طريقه الوعر ، فوق الديناميت ، وعندما عبر طريق النار صفقت له العرب •

ثم استمرت المؤامرات •

الشرفاء من العرب وعلى رأسهم المغفور له الملك فيصل ابن عبد العزيز شدوا من ازره وايدوه أما الحقراء، والقلم يعف عن اسمائهم ترفعا ، خانوه ولا زالوا يخونوه •

لو امتلك أحد ذهب الارض كلها ، لن يشترى مصر ، وشعب مصر •

كان الشاعر العربى القديم يقول : « **المـــال غاد ورائح** » •

وماذا يكون المـال بلا رجال ؟

المنظمات الفلسطينية بكل ما تقول ، وما تفعـل ، كانت أمامها الفرصة الكبرى فى اكتوبر ١٩٧٣ ولو ألقى كل واحد منهم حجرا على نافذة زجاجية فى قلب اسرائيل لاستطاعوا أن يكون لهم صوت من رنين الزجاج •

لا تدعونى أتحدث فأنا عربى مثلكم •

ولا تخدعوا أنفسكم عن الحقيقة ، فلا جيش الا جيش مصر ولا نضال الا نضال مصر •

ولكن ••

ارفعوا أيديكم عن مصر ، وكفى ما قاست من عذاب

فى قضية تحرير فلسطين • ولا زالت كلمتها ، وستظل دائما هى تحرير فلسطين ، واقامة دولة لشـــــعب فلسطين •

هل نعيد مرة أخرى ما قالهفارس السلام فى القدس ؟

لقد تعبنا من كثرة الكلام • ولم يبق أمامنا الا شىء واحد •• هو السلام •

اذا تحقق السلام بين يدى فارس السلام ، مهذا هو الامل والرجاء •

واذا لم يتحقق السلام •• فلا تلوموه،ولا تحاربوه، ولكن حاربوا مرة أخرى من أجل السلام •• لا من أجل الحرب •

وسلام على العالمين •

وسلام •• لفارس السلام ، فى كل كلمة سلام قالها من أجل السلام •

الطريق الى السلام

رغم كل ما يمكن ان يحدث من وصول الى السلام ، أو اشتعال نيران الحرب • فان شيئا واحدا يجب أن نقف عنده طويلا ، وهو أن مصر قدمت السلام غــــرق سلة زهر وورد •

وقد ناقشنى كثيرون حول النتائج • ومنهم مؤيدون ومعارضون ومحتاطون • ولكن أحدا منهم لم يرفض السلام •

ماذا يحدث لو فشلت مبادرة السلام ؟

ان شعب مصر حينما هتف للسلام ، كان يعرف انه يمكن فشل المحاولة الباسلة ، كما يمكن نجاحها • ولكن الفشل والنجاح ليس هو الهدف ، لان الشىءالاعظم هو السلام فى ذاته • وعندما أعلن فارس السلام ان حرب أكتوبر هى نهاية الحروب ، لم يقل هذه الكلمة بلا شروط ، ولم يقدم السلام من غير تحقيق الاهداف حتى اتفق عليها العرب فى مؤتمر الرباط •

اذا تحققت هذه الاهداف يقوم السلام ، واذا لم تتحقق فلا سلام ، وليشهد العالم كله اننا نحن الذين قدمنا السلام •• فاذا رفضته اسرائيل • يتغير الموقف كله من أساسه •

نحن لا نريد القاء اسرائيل فى البحر ، ولكننا قبلنا أن تعيش بيننا ، فاذا رفضت ان تعيش بيننا ٠٠ ماذا يكون موقفنا ، وماذا يكون موقف العالم كله ؟

العالم كله شرقه وغربه اعترف باسرائيل ولم تكن لهذا الاعتراف قيمة خلال ثلاثين عاما ، لان الاعتراف الوحيد الذى يبقى اسرائيل على قيد الحياة هو اعترافنا نحن ٠ وبدون هذا الاعتراف لا وجود لاسرائيل ، وهى نعلم ذلك مها طال الزمان ٠ واذا كان فارس السلام قد اختصر الزمان من أجل حياة الانسان ، فليس معنى ذلك هو الاستسلام لشيء لا نقبله ٠ ولكنه أراد وضع حد للحروب المدمرة التى قد تؤدى الى حرب عالمية ثالثة،اذا قامت حرب عربية اسرائيلية خامسة ٠

ان الذين ناقشتهمحول فكرة السلام ، كانوا يحللون أخبـــار الصـــحف والاذاعات العالمية حــول رحلة السلام التى قام بها السادات الى القدس ٠

ومع أن التحركات السياسية تتبع الحذرفىخطواتها فان شيئا واحدا لا نستطيع تجاهله ، أو الابتعـــاد عنه ، وهو أساس السياسة فى كل زمان ومكان مهما اختلفت الوسائل . ذلك هو الرأى العام ...

اسرائيل لا تستطيع مقاومة الرأى العام العالمى ٠

ونحن أيضا لا نستطيع مقاومة الرأى العام العالمى٠

اسرائيل كانت تقول ان العرب يريدون القاءها فى البحر ، وهى تريد لنفسها الامن ٠

ونحن نقول اننا لا نريد القاءها فى البحر ، ونمنحها ونمنح أنفسنا الامن عن طريق الضمانات الدولية التى ترضاها اسرائيل ويرضاها العرب ٠

هذا الاتفاق ليس عربيا اسرائيليا ، ولكنه اتفاق عالمى ارتضاه زعماء العالم ، وارتضته الدول الكبرى ، ومنها الاتحاد السوفييتى الذى يعارض خطوات السلام فى هذه المرحلة لاسباب خاصة وسيضطر الي قبولها هو ومن يسير فى فلكه .. لو نجحت أتفاقيات السلام لانهم لا يستطيعون معارضة السلام ٠

أن العقلاء الذين أيدوا فارس السلام فى رحلته كانوا يعلمون حقيقة حياتنا المعاصرة التى تتركز حول فكرة نبذ الحروب ٠٠ والشيوعيون أشد الناس تعصبا لهذه الفكرة وكان يرجى أن يساعدوا على انجاحها لا أن يسعوا الى تحطيمها ٠

ولكن النظريات شيء ، وتطبيق النظريات شيء آخر ٠

لو أن زعيما آخر غير السادات هو الذى قام بهذه

الخطوة لنال أعظم التأبيد من السوفبيت ، ولكن الذى قام بها هو أنور السادات والفوارق السياسية عند ساسة العرب فى عالمنا عجيبة وغريبة ٠٠ فقد حاربت سورية مع مصر فى معارك أكتوبر ، وكان لابد من الوصول الى السلام بعد الحرب ٠٠ والا ٠٠ ما قيمة الحرب ؟ ٠٠ ولماذا حاربنا معا ؟ ٠

وعندما حانت لحظات السلام ، توالت الخلافات لا من أجل السلام ، ولكن من أجل شئ آخر ٠٠ اسمه الايديولوجية ٠

وأصبحت القضية كلها فى كفة الايديولوجية ٠

ونسى أصحاب القضية قضيتهم . ومارسوا الصراع الايديولوجى وجروا معهم زعماء بلا أيديولوجية ٠

ولكن مصر تملك أيديولوجية واحدة لا تتبدل ولم تتبدل ولن تتبدل ٠٠ وهى : عروبة مصر ٠

حياة الشعب العربى ليست ملكا لاحد ، ولكنها ملك لنفسه ٠٠ ومصر هى التى تدافع له عن نفسه ٠

والذين يتساءلون ٠٠ ماذا يحدث لو فشلت محاولة

السلام ؟ يجب أن يعرفوا أن مصر ستظل فى مكانها درعا وسيفا لكل الشعب العربى ·· ولن تتزحزح من مكانها الذى تقوم فوق صدره الاهرامات والحضارات والثقافات ·

وذات يوم قال الملك الحسن الثانى ملك المغرب كلمات عاقلة عندما دعا زعماء العرب الا يتركوا السادات وحده فى معركة السلام وأن يقفوا بجانبه لو فشلت محاولات السلام ·

كان العرب القدماء يقولون :

انصر أخاك ظالما أو مظلوما

وقال أحد رجالهم :

ـ كيف أنصره ظالما ؟

فقال حكيمهم :

ـ ان ترده عن ظلمه ·

وهذا القول يؤكد أن العربى لا يهرب من المواجهة فى أخص خصائص الحياة ، فلماذا يهربون مما هو أعظم ·

وهناك مثل مصرى يقول :

ـ أنا واخى على ابن عمى .

غير أن الظواهر التى نشاهدها تدلنا على أن بعض اخواننا يعرفوننا فى الرخاء ولا يعرفوننا فى الشدة.. ودرجات المعرفة مختلفة .. لان مصر تعرف كل اخوتها فى الشدة والرخاء على السواء ، بغير خوف أو تردد أو رجاء .

عندما قام فارس السلام أنور السادات برحلته الى القدس كانت بوادر الفشل قائمة أمامه على قدر بوادر النجاح .. وكان شجاعا فى مواجهة الفشل والنجاح ، بلا تردد ، ولا تراجع .

لماذا لم يقولوا له :

ـ انصر أخاك ظالما أو مظلوما .

وهل يعقل أنه يظلم نفسه وشعبه ؟ .. وان كان مظلوما فلينصروه ضد ظالمه ، وفى الحالين من حقه عليهم الوقوف بجانبه كما قال الملك الحسن الثانى ملك المغرب .

هذه هى أخلاق العرب ، ومبادئهم ومثالياتهم ..
وليس لك أن تحارب أخا لك يسعى من أجل خيرك وسعادتك ، كما أن الذى يمكن أن تصل اليه اليوم فى عالمنا المعاصر ، ليس هو نهاية العالم .

ان القضية فى جوهرها هى قضية السلام ، مع الالتزام ، ولو فكرنا بالطريقة العربية التى عاشت ثلاثين عاما فى صراع مع نفسها قبل أن يكون صراعا مع اسرائيل .. لوصلنا الى نتائج حتمية لانستطيع الفرار منها .

● الاخوة العرب هم الذين حضروا مؤتمر الصلح فى باريس وكان ممثلهم هو (الامير فيصل بن الحسين) شريف مكة .. وقد وافق على وعد بلفور باقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، ولم يكن لمصر صوت فى هذا المؤتمر ، بل ان (سعد زغلول) زعيم مصر منع من الوصول الى هذا المؤتمر ، ونفى من مصر ، وقامت ثورة ١٩١٩ بعد نفيه مع زملائه الثوار .

● ان ثورة ١٩١٩ فى مصر هى التى ألهبت ثورات العرب ضد الاستعمار .

● ان مصر هى التى قادت الحرب منذ ١٩٤٨ ثم

قادت حركة الصراع ضد الصهيونية العالمية ..
لا ضد اليهودية .. فاذا أقرت اليوم بدولة يهودية - على شروطها المعلنة - فليس ذلك الا الاعتراف بحارة يهود كبيرة داخل أرض العرب وكانت له ولا زالت حارة فى دمشق والقاهرة ، مصر هى التى قادت العرب فى الغزوات الصهيونية ، وقد أعلن العراق أنه يرحب بعودة اليهود اليه ، وهذا هو ما تعلنه مصر أيضا .. ففيم الخلاف ؟

نحن ضد الصهيونية ، ولكننا لسنا ضد اليهودية ..

والصهيونية مثل الماركسية ، مذهب سياسى .
ونحن لا نملك تبديل سياسات أحد ، أو أيديولوجيات أحد ، كما انهم لا يملكون مطالبتنا بالتنازل عن فكرة القومية العربية .

ان قضيتنا لا علاقة لها بكل هذه الافكار . ولسنا نلوم أحدا أو نبحث عن الاخطاء ، لاننا لا نريدالعودة الى الماضى . ولكننا ننظر الى المستقبل . ونستقبل المستقبل .

نحن نريد السلام ·· ولا نريد اشتعال نيران الحرب ·

وقد وافق زعماء العالم المتحضر على دعوة فارس السلام ·· واعتبروا خطوته جريئة مقدامة ، ومنحه العالم المتحضر جائزة نوبل للسلام ، باعتباره رجل السلام ·

نحن لا نتسقط الاخبار من الصحف لنحلل عن طريقها طريق المستقبل ، ولكننا نبحث عن طريق آخر هو طريق السلام ·

قد يكون السلام عن طريق نبذ الحروب ، والمفاوضات السلمية واللقاء المباشر ·

وقد يكون السلام عن طرق أخرى كثيرة ··تتعدد مسالكها ·· وتتعدد اتجاهاتها ·· ثم تؤدى الى السلام ·

ولكننا لا نحب أن تكون الحرب الخامسة هى طريقنا الى السلام لا بسبب عجزنا عن الحرب ، ولكن بسبب رغبتنا فى السلام بعد أن خضنا غمار الحرب أربع مرات ·

الخطوة الجريئة

فى تاريخ مصر مواقف جريئة يتصدى فيها العظماء لاخطر الاحداث فى شجاعة باهرة قادرة ، وأعظم هذه المواقف كان ولا زال يعبر عن انتصار مصر فى معاركها الحربية أو السياسية .

بعد انتصار صلاح الدين فى معركة حطين،وبعد أن فتح بيت المقدس ، دخل المدينة المقدسة ماشيا ومعه جنده بلا سلاح حتى وصل الى المسجد الاقصى فوقف عند المحراب واتجه الى الكعبة المشرفة وكبر وصلى ركعتين شكرا لله .

بعد هذا الانتصار الباهر الظافر الذى قوض دعائم دولة الصليبيين فى فلسطين ، عقد السلطان صلاح الدين صلح الرملة مع ريتشارد قلب الاسد ، من موقع قوة لا من موقع الضعف . ثم أصبحت حكاية صلاح الدين مع ريتشارد قلب الاسد من أساطير التاريخ .

السلطان يبعث بطبيبه الخاص لعلاج عدوه الملك ريتشارد ، ويزوره ، ويسأل عن صحته .

حتى الغزاة الذى كانوا استولوا على القدس تركهم

يخرجون بأموالهم ومتاعهم من المدينة المقدسة .. بل انه أطلق سراح الاسرى ، ولم يقتلهم .. فهل كان صلاح الدين ضعيفا أو متهاونا فى حق أمته ؟

التاريخ يمجد صلاح الدين بطل السلام .. كما يمجده بطل الحرب الظافر المنتصر .

وفى معركة المنصورة وقع الملك لويس التاسع فى الاسر ، ولكنه لم يقتل بايدى الفرسان المصريين ، بل حدث الصلح ، وتم الاتفاق ، ودفع الملك الفدية ، وخرج من مصر سليما وهو المهزوم .

أما المواقف السياسية فقد كانت اعظم واجل .. ففى ثورة ١٩١٩ رضيت مصر بقيادة سعد زغلول بمفاوضة بريطانيا العظمى . ولم تكن مصر فى موقف الضعف كما تخيل بعض الكتاب .

مصر التى كان يسيطر عليها جيش الاحتلال البريطانى هى التى رفضت الخضوع للامبراطورية التى كانت لا تغيب عن ممتلكاتها الشمس ، وتحداها سعد زغلول ، فاشعلت ثورة مصر كل الثورات فى الهند وسورية ولبنان وايرلنده . وقال المهاتما غاندى زعيم الهند أنه تلميذ سعد زغلول ، واعترف ديفاليرا زعيم ايرلنده بأنه تعلم الثورة من سعد زغلول ، وكان الزعيم

السورى الدكتور عبد الرحمن الشهبندر يصف سعدا بأنه أسد العرب .

ومهما كانت أخطاء أبناء ثورة ١٩١٩ ، فستبقى هناك حقيقة واحدة لا يستطيع أحد انكارها ، وهذه الحقيقة تقول ان شعب مصر ظل على موقفه من مصارعة بريطانيا أكثر من سبعين عاما حتى أرغمها على الجلاء فى معاهدة ١٩٥٤ بعد ثورة ٢٣ يوليو . وقد تعرضت هذه المعاهدة للمعارضة من بعض الفئات الانتهازية ، مع أن جماهير الشعب المصرى كانت قد قبلتها .

لقد فجرت المعاهدة المصرية البريطانية عام ١٩٥٤ مشكلات داخلية فى مصر ، ثم انتقلت هذه المشكلات خارج مصر حين شارك بعض اخواننا العـــرب فى احتضان المعارضين ، مع أن الاتفاق كان خاصا بمصر وحدها ، ولم يكن من حق هؤلاء الاخوة العرب التدخل فى سياسة مصر .

انتصرت مصر فى معركة سياسية على بريطانيا العظمى ، وأرغمتها على الجلاء طبقا للمعاهدة ، وكان هذا نتيجة لكفاح الشعب المصرى منذ عام ١٩٨٢ بعد سقوط الثورة العرابية ، وكان دور مصر خلال سبعين عاما هو دور القيادة الثورية المستمرة ضد الاستعمار ،

كما كانت مصر هى المعلم الاول لثوار العالم الثالث ضد الاستعمار .

وفى عام ١٩٥٥ وقبل جلاء القوات البريطانية عن مصر ، كانت مصر احدى الدول التى أرست سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز فى مؤتمر باندونج ، قبل أن يكون لاخوتنا العرب صوت فى سياســـة عالمية .

وفى عام ١٩٥٦ تعرضت مصر للعدوان الثلاثى البريطانى الفرنسى الاسرائيلى .

لمـــاذا ؟

● **بريطانيا العظمى** .. كانت تريد اسكات صوت مصر حتى تظل الامبراطورية مسيطرة على مستعمراتها فى العالم العربى .. فى ليبيا حيث كانت قاعدة عسكرية بريطانية .. فى عدن واليمن الجنوبى حين كانت هناك سلطنات متهـــالكة لا قيمة لها فى ميزان من موازين القوى .. فى العراق الذى كان يقيم حلف بغداد تحت سيطرة بريطانيا .. فى الكويت ودويلات الخليج العربى وعمان حيث كانت تحت الحصار البريطانى .

ان الخريطة السياسية للعالم العربى فى تلك الفترة

كانت تؤكد تقسيم هـــذا العالم بين الامبراطوريات القديمة ، وكان دور مصر هو تحرير اخوتها العرب .

● **فرنسا** .. كانت قد اعلنت أن الجزائر مقاطعة فرنسية ، ولكن مصر دخلت مع الجزائر فى معركتها ضد الاستعمار الفرنسى ، ولذلك شاركت فرنسا فى العدوان الثلاثى ضد مصر حتى تستمر سيطرتها على الجزائر..

ثم تظل هذه السيطرة على تونس والمغرب .

● **اسرائيل** .. كانت تريد الوصـــول الى قـــناة السويس لترغم مصر على الركوع وطلب الصلح ، ولم يتحقق لها هذا الهدف فى حرب ١٩٥٦ ، لانها وصلت الى الكيلو عشرة شرق القناة ، ثم أرغمت على الانسحاب فى ظروف دولية معروفة حيث أعلنت روسيا وأمريكا وجوب انسحاب قوات العدوان الثلاثى عن مصر . أما فى حرب ١٩٦٧ فقد وصلت اسرائيل الى الشاطىء الشرقى للقنـــاة ، وأقامت خط بارليف المنيع ، وحققت مخطط حكماء صهيون ، بل ان وزير خارجية اسرائيـــــــل (أبا ايبان) طالب بنصف قناة السويس اذا قبلت مصر المشاركة فى اعادة فتح القناة للملاحة .

ثم حدثت المفاجأة التى أذهلت الدنيا فى الساعـة

الثانية بعد ظهر يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، عندما عبرت القوات المصرية القناة وحطمت خط بارليف .

كان هذا موقف فارس السلام فى الحرب .

ثم كان موقفه فى السلام منذ ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ وحتى اليوم .

زيارة القدس التى حدثتك عنها .. ثم لقاءات كامب دافيد مع الرئيس الامريكى جيمى كارتر ورئيس الوزراء الاسرائيلى مناحم بيجين .. ثم توقيع اتفاقية السلام التى رويت لك قصتها فى كتاب (دقت أجراس السلام) .

ولكن حكام العرب يقفون ضد اتفاقية السلام مع اسرائيل ، ونحن لا نناقش هذا الموضوع الذى أصبح غير ذى موضوع ، لسببين :

أولا – أن اخوتنا العرب ليس عندهم حل بديل .

ثانيا – أن اخوتنا العرب يوافقون على السلام ، ويرفضون فكرة الحرب .. فهل السلام يكون بيننا وبين أنفسنا .. أم مع اسرائيل .. أم مع طرف مجهول لا نعرفه ؟

شىء محير ٠٠ ونحن نحتمل غضب اخوتنا ، ونمضى فى طريق السلام ؛ ونقول للغاضبين انهم يحتاجون الى أستاذ فى التاريخ ليسرد لهم ظروف معاهدات السلام التى عقدتها مصر أيام الحروب الصليبية ، وكانت نصوص هذه المعاهدات خطوات جريئة نحو السلام ، كما نفعل اليوم ، رغم اختلاف الزمان والظروف السياسية ٠

ولو أدرك الرافضون حقائق التاريخ ، لعرفوا أن ما يقوم به فارس السلام من أعمال ، ليس الا تحقيقا لواقعية التاريخ ، فليس من الواقع تجاهل اعتراف الدولتين الاعظم فى عالمنا بوجود اسرائيل ، بل انهما تمدان اسرائيل بشرايين الحياة ٠

الاتحاد السوفييتي يمدها بالقوى البشرية عن طريق تهجير اليهود السوفييت ٠

وأمريكا تمدها بالمعونات الهائلة ابتداء من الرغيف حتى طائرات الفانتوم ٠

نحن فى حاجة الى أستاذ آخر فى علم المنطق السياسى ، لانه اذا كانت اسرائيل موجودة ، واذا كان هناك نزاع عربى اسرائيلى ، واذا كانت هناك حروب

أربعة بين العرب واسرائيل ، واذا كانت كل الاطراف المتنازعة توافق على السلام ••

مع من يكون السلام ؟

هناك اتفاق على المبادىء حتى من زعماء حلف بغداد الجديد الذى يتزعمه صدام حسين •• ولكن الخلاف يدور حول طريقة الوصول الى السلام •• هل تصل اليه عن طريق واشنطون أم عن طريق موسكو ؟

ولم يرفض فارس السلام اى طريق يوصـل الى السلام ، ولكنه عرف وعرفت الدنيا كلها أن واشنطون هى التى تملك ٩٩٪ من أوراق اللعبة ، وأن موسكو لا تملك ورقة واحدة ، فلماذا تغضبون يا اخوتنـا العرب ؟

انتظروا حتى نرى ماذا سيحـدث •• وتذكروا ما حدث بالامس القريب •• وسأروى لكم جانبا من أحداثها لو سمحتم •

السنوات الحاسمة

خلال ثلاث سنوات كاملة كان السادات يتحدث عن تحرير كل الارض العربية المحتلة فى عدوان ١٩٦٧ ، وهى القدس العربية وغزة والضفة الغربية للاردن والمرتفعات السورية وصحراء سيناء المحتلة . وذلك مع الحرص الكامل على حقوق الشعب الفلسطينى . وقد حدد ذلك فى ٧ أكتوبر ١٩٧٠ عقب توليه رياسة الجمهورية بأيام . كما أكد أن الضمان الحقيقى لهذا الهدف المشروع من نضالنا يتمثل فى مطلب اساسى واحد هو تعزيز القدرة القتالية للقوات المسلحة المصرية لتكون حماية للسلام القائم على العدل او أداة لفرضه ، كما حدد الهدف الثانى من أهدافه وهو مواصلة النضال من أجل الوحدة العربية ، وحدد أعداء الامة العربية فى اسرائيل والصهيونية العالمية والاستعمار العالمى .

وعندما أجرى الاستفتاء الشعبى ، وتم انتخاب السادات رئيسا عن طريق الشعب ، قال فى خطابه الذى كان يوم ١٨ أكتوبر سنة ١٩٧٠ أنه سيكون للجميع الذين قالوا : نعم والذين قالوا : لا . وبذلك حيا معارضيه تحية رقيقة ، وكان على ثقة من أن الذين قالوا : لا سيعودون اليه فى الوقت المناسب ليقولوا نعم . وهذا

هو ما حدث بعد ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، عندما أصبحت القلة القليلة المعارضة معه فى لمحة خاطفة ٠

خلال ثلاث سنوات عاش السادات فترة قاسية فى تاريخ اللا سلم واللاحرب ، وأصبحت الصحافة المصرية والصحافة العربية تعيد للاذهان قصة أهل بيزنطة الذين أداروا مناقشات فى المذاهب ، والمدينة محاصرة بالاعداء ٠

لقد تخلصت مصر من مراكز القوى ، وقامت ثورة التصحيح فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، واستطاع السادات قبل حرب أكتوبر أن يجمع شمل العرب على قـــدر الامكان وبذل جهودا مضنية ٠ لتصفية الخـــلافات العربية ، ولكن الاحداث كانت تنشب لتعيدجوالخلافات مرة أخرى ، وكأنها سلسلة من المؤامرات تدبرها يد مجهولة للابقاء على الخلاف بين العرب ، فحدثت حوادث اختطاف الطائرات فى ظروف كان العمل السياسى العربى يتقدم أثناءها خطوات الى الامام ، فلا يكادمؤتمر ينعقداو يوشك على الانعقاد حتى يحدث حادث اختطاف طائرة ٠

كما حدث أمران هامان هزا صورة العرب أمام العالم الخارجى هزا ، وهما حادث ميونيخ الذى قتل فيـــه عدد من الرياضيين الاسرائيليين أثناء انعقـاد الدورة

الاولمبية وحادث اقتحام السفارة السعودية فى الخرطوم وقتل عدد من الدبلوماسيين الاجانب داخل مبنى السفارة ٠

وكان السادات قد أعد خطته السياسية الكبرى لشرح الموقف العربي للعالم الخارجى فى أوربا وافريقيا وآسيا بعد أن يئس يأسا تاما من السياسة الامريكية التى لم تحقق شيئا بعد أن قدم هو شخصيا مبادراته من أجل السلام ، وبعد أن قدم (وليام روجرز) وزير خارجية أمريكا مبادرات أيضا من أجل السلام ٠

لقد أصبحت قرارات الامم المتحدة وقرار مجلس الامن الشهير رقم (٢٤٢) حبرا على ورق وأصبحت مهمة السفير جونار يارنج مبعوث الامم المتحدة للشرق الاوسط مسرحية هزلية ٠

واطمأن المخطط الصهيونى العالمى الى أن الوصول الى السلام أمر مستحيل الوقوع ، وأن قيام الحرب أمر لا يستطيعه العرب ، ولا يملك السادات الاقدام عليه ، وحاول هذا المخطط أن يجعل من حالة اللاحرب واللاسلم أمرا واقعا ٠ وأصبح حديث (لا حرب ولا سلم) مثل الخبز اليومى وعلى صفحات الصحف العربية فى مصر وفى غيرها من البلاد العربية ، وفهم

بعض الناس أن مخطط الصهيونية هو التوسع كل عشر سنوات وحسبوا حساب المدد ، من سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٥٦ الى سنة ١٩٦٧ ·وبناء على هذهالحسابات فان حالة اللاحرب واللاسلم المفروضة على العـــــرب ستستمر حتى عام ١٩٧٧ عندما تقوم اسرائيل بهجوم توسعى جديد ، يمتد الى دلتا النيل فى مصر ويصـــل الى أبواب القاهرة ، ويمتد الى فرات العراق ويصـــل الى أبواب بغداد ، بل أنه سيصل أيضا الي أبواب المدينة المنورة حيث قبر الرسول عليه السلام ليستعيد خيبر من المسلمين ·

وشاعت وذاعت أنباء اقامة فنادق سياحية فى (شرم الشيخ) واقامة مستعمرات اسرائيلية فى قلب سيناء ، بعد تحقيق الحلم الصهيونى الذى وضع أساســـه (تيودور هرتزل) من اقامة دولة يهودية فى سيناء وما دعا اليه (دافيد بن جوريون) وغيره من ساسة اسرائيل من وجوب الوصول الى قناة السويس لارغام مصر على قبول كل شروط اسرائيل ·

اما فى مصر فكان الجنود داخل خنادقهم على خط المواجهة على شاطىء قناة السويس ، وقد طالت بهم الايام منذ يونيو سنة ١٩٦٧ ، وهم لا يستطيعون الحرب ، ولا يستطيعون العودة الى مدنهم وقراهم، والشعب المصرى يتحمل أعباء معركة لا تحدث ولا تقع ،

وقد ضاقت سبل الحياة أمام الناس،ولكنهم يصبرون، ويصرون على رفض الهزيمة مهما كانت التضحيات .

وكان السادات يواجه كل ذلك فوق مسئولياته عن دولة هو رئيسها ، وهو لا يريد لها أن تظل كما هى بل كان يعمل من أجل التقدم وبناء الدولة الحديثة على ضفاف النيل ، وقد أعلن شعاره الجديد : دولة العلم والايمان ، وبدأ يحققه بالعمل والفعل ، وبدفع عجلة وطنه نحو العصر الحديث .

وسط هذه العواصف كان السادات يقوم بدوره البطولى فى اتجاهات ثلاثة ..

- خطة الدبلوماسية المكثفة بهدف الوصول الى تأييد عالمى للقضية العربية فى مواجهة العدوان الاسرائيلى .

- خطة الوحدة العربية بهدف جمع شمل العرب دون البحث عن تفصيلات من أجل مواجهة اسرائيل .

- خطة اعداد القوات المسلحة المصرية لخوض معركة حتمية تحطم الصلف والغرور الاسرائيلى الذى بلغ مداه من التبجح .

وكان السادات لايرفض رأيا أو مناقشة،ولايتعصب لشيء ، ولا يفقد أعصابه ، وهو الذى يجتاز أخطر ازمة فى التاريخ المصرى الحديث ، ويتحمل أعظم مسئولية فى مواجهة شعبه وشعوب الامة العربية كلها ، وشعوب العالم• بل انه حمل قدره على كتفه كما قال ، وحمل سيفه فى يده كما قال بعض الكتاب الاجانب •

وقال أنور السادات ذات يوم فى احدى كلماته البارعة : سنكون أشرف الشرفاء فى محاربة عدونا •

وهذه الكلمة هى الدلالة التاريخية على أنه يشارك فرسان مصر القدماء شرف الحرب والقتال ، ولكنه يعد للمعركة بعقلية فارس جديد فى عصر جديد •

وعندما وقع ضباط وجنود الاسرائيليين فى أسر مصر، لم يفعل بهم السادات ما سبق أن فعلوه عام ١٩٦٧ عندما كان المصريون فى الاسر،ولم تتغلب شهوة الانتقام على شرف الشرفاء •

وكان كلما اقترب من السلام خطوة ، يزداد الاسرائيليون صلفا وغرورا ، ويطلبون طلبات غريبة، ويحاولون املاء شروط اشد غرابة ، فهم تارة يطلبون حدودا آمنة غير معروفة على الخرائط الجغرافية حتى

اضطرت مصر ذات مرة الى تقديم خريطتها الدولية .
وتارة يطلبون نزع السلاح فى شبه جزيرة سيناء وهى جزء من أرض مصر . وتارة يطالبون بوضع اليد على (شرم الشيخ) عند خليج العقبة ، ولايقبلونبالانسحاب من الجولان أو الخروج من القدس ، وقد يتنازلون عن الضفة الغربية للاردن بشروط أيضا .

وعندما عرض السادات الحل الجزئى بالانسحاب شرقاوبعيدا عن قناة السويس كتمهيد للحل الكلى طبقا لقرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) ، فهموا من مبادرته انه يقبل التسليم وازدادوا صلفا وغرورا .

ثم قامت الحرب بين الهند وباكستان بينما كان الفارس المصرى يحمل قدره على كتفه ، ويحمل سيفه فى يده ، واتجهت أنظار العالم نحو شبه القارة الهندية، وأرخى الفارس لجام فرسه ووقف ينظر نهاية هـــذا الصراع فى لعبة الامم ، وانتهت اللعبة بالوفاق بين القوتين الاعظم أمريكا وروسيا والفارس لا يزال كما هو .. قدره على كتفه وسيفه فى يده .

وبدأ المجتهدون يفسرون سياسات العالم ، ويقول بعضهم ان الوفاق فى مصلحة العرب ، ويقول آخرون ان الوفاق ضد مصلحة العرب ، وعادت الى صـــدور

الصفحات فى الجرائد حكاية التناطح مع امريكا وعدم التناطح والخضوع لروسيا وعدم الخضوع ،فى صورة جديدة ، وألفاظ جديدة ، وتركهـم السادات يفسرون ويجتهدون ، ويجترون أفكارهم ، وكان يعلم أن المواطن المصرى يؤمن بشىء واحد بعد الله هو مصر . وهـو يؤمن أيضـا بأن ثورة ٢٣ يوليـو سنة ١٩٥٢ ليست ثورة فرد من الافراد ولكنها ثورة مصر ، وأكرم أبنائها الذى يقول كما قال مصطفى كامل :

ـ لو لم أكن مصريا ، لوددت أن أكون مصريا .

وكانت مصر التى يتحدث عنها دائمافيعجبويطرب، هى التى تملأ قلبه وجوانحه وكان هو الذى استرد لها اسمها بحركة بارعة بعد أن ظلت منذ عام ١٩٥٨ تحمل اسم (الجمهورية العربية المتحدة) حتى قال بعض الصحفيين الاجانب :

ـ نريد أن نسأل .. مع من هى متحدة ؟

ولكن المجتهدين من كتاب الصحافة المصريةوالعربية لم يفسروا ظواهر التاريخ ، كما فسرها الســادات ، لانهم مع ذكائهم وقدراتهم غاب عنهم منطق التاريخ المصرى . وقد قال هيرودوت منذ قديم الزمان :

ـ ان ما يحدث فى مصر لا يمكن أن يحدث فى بلد آخر .

وقد أشار السادات الى ذلك اشارات عابرة كثيرة، لم يفهمها سوى طائفتين من الناس فى مصر ، أولاهما جماهير الشعب والثانية أولئك الذين طحنهم التاريخ المصرى طحنا حتى استوعبوا أسراره .

خلال فترة زمنية واحدة أشار السادات مرارا الى انتصار المصريين علي جحافل التتار بخيولهم وجيوشهم من أقصى المشرق،وعلى جحافل الصليبيين الذينجندتهم أوربا كلها بملوكها وأمرائها واقطاعاتها منأجل السيطرة علي الشرق .

انتصر المصريون علي المعسكرين الشرقى والغربى فى عصر واحد ، وفى فترة تاريخية واحدة،حتى تشابكت حروب التتار والصليبيين معا ، ووقفت مصر ضدهما جميعا ، وانتصرت عليهما وحررت الارض التى يدور حولها الصراع فى عصر السادات وهى أرض فلسطين .

وعندما أرخى الفارس لجام فرســـه ، وقدره على كتفه ، وسيفه فى يده ، ظنوا أنه قد استرخى ، وقال بعضهم : هذه فترة الإسترخاء ولكنه لم يغمض له جفن،

ولا نامت له عين •

قالوا له :

ـ سنبحث لك عن حل سلمى •

وقال لهم :

ـ الحل فى يدى •• الحرب أو السلام •• اما أن اكون بلا حرب ولا سلام فهذا لن يكون •

وضحكوا فى الاروقة ، وشربوا أنخاب السـلام الموهوم بلا قتال •• بقصاصات ورق وكلمات محفوظة، وشعارات ترفع فى المناسبات •

وقال الفارس ابن حضارة سبعه آلاف عام :

ـ أنا أريد الحرب من أجل السلام •• لانني لاأجد السلام •• أنا مطحون •• وبلدى مطحون •• وشعبى مطحون ••

كان لجام الفارس فى يده ، وكان قدره على كتفه ، وكان سيفه فى يده الاخرى ••

وذات يوم قال صحفى أجنبى فى مقالة من مقالاته :

ـ ان السادات هو الذى يملك زمام الموقف •

وعندما أراد امتلاك زمام الموقف حـــدد موقفه من الحرب والسلام ، وأعلن نظريته التى تقول أنه يريد السلام ، وانه اذا كان قد كتب علينا القتال ، فاننا نحارب من أجل السلام •

ولم تفهم القوى الكبرى فى العالم نظرية السادات، واعتقدت فى نفس الوقت أنها تملك زمام الموقف ، وانه لا يستطيع أن يتحرك الا بارادتها •

واذا أستقرانا التاريخ الحديث لمصر والبلادالعربية، قبل أن يصل السادات الى السلطة ، فاننا سنرى أن نظرية القوى الاعظم صحيحة مائة فى المـائة ، فهذه القوى الاعظم تقدر مواقفها على أساس دراسات سابقة تحلل حقائق الماضي ، وتبنى على أساسها تطلعـــات الحاضر والمستقبل •

وبناء على هذه الدراسات وافق الاتحادالسوفييتى بعد سياسة الوفاق مع أمريكا ، على تهجير اليهـــود السوفييت الى اسرائيل ، وفى نفس الوقت ظل يعلن

سياسة تأييد القضيـــة العربية وحقوق الشــــعب الفلسطينى ، وأعلن فى جميع خطاب القادة السوفييت التأييد الكامل للقرار رقم (٢٤٢) الصادر عن مجلس الامن فى عام ١٩٦٧ ، وكان رقم هذا القرار يشبه رقم سيارة أوتوبيس عالمية تمضى نحو المجهول على خط اليأس والمعاناة للشعب العربى ٠

وعندما جاءه القادة السوفييت بعد وفاة عبد الناصر، كان من أشد المجاملين لهم ، وقال انهم حملوا اليـــه الصينية فى العزاء كما سبق أن ذكرته ٠٠ ثم وجـــد نفسه فى الركن ـ كما يقولون ـ فلم يعارض سياسة الوفاق ورأى فيها خيرا يهم العالم ، ويؤدى الى السلام، ولم يلتفت الى المهاترات الصحفية حول سياسة الوفاق لان القائدلايجوزله أن يلتفت الى المهاترات ، ولايجوز له أن يبحث عمن يؤيده ويقف معه قبل أن يكون هـو مع نفسه ومع شعبه ولكن أين مصر وسط الصراعات والوفاقات ؟ وأين الشعب العربى الذى طحنته هزيمة يونيو ١٩٦٧ ؟

كان الامريكيون يوردون لاسرائيل الاسلحة والمـال والزاد من الرغيف حتى طائرة الفانتوم ، وكان الروس يوردون لاسرائيل الطاقات البشرية متمثلة فى المهجرين اليهود من الاتحاد السوفيتى ٠

وأبرم السادات معاهدة تحالف وصداقة مع الاتحاد السوفيتى ، فرح بها السوفييت وغضب منهاالامريكان، ولم يكن يريد فرح الفرحين ولا غضب الغاضبين ، ولكنه كان يريد تحرير الارض العربية المغتصبة •

فى تلك الفترة لم يوجد أحد يفهم سياسة السادات الا قلة قليلة واعية ، تدرك بالفهم والدراسة أن مصر تستطيع فى الوقت المناسب ضرب أعظم قوة فى الارض• ولها فى ذلك تاريخ قديم تحدث عنه السادات عندما ذكر شعبه بحرب التتار وبالحروب الصليبية كما أشرت الى ذلك أكثر من مرة لتأكيد الاتجاه الفكرى للسادات•

ووقع الرئيس بين فكى الكماشة ، وهو فى قمة السلطة ، وقدره على كتفه وسيفه فى يده • ومنذ اللحظة الاولى كان يحدث الشعب المصرى ، ويؤمن بأن هذا الشعب قادر على الخروج من بين فكى الكماشة ، لا عن طريق هروب القائد من الواقع ، أو تهربه من المواجهة بالبيانات والخطب والشعارات ، ولكن عن طريق وضع الشعب كله معه على قمة المسئولية •

كان يؤمن بعد تجربة ذكرت لك بعض جوانبها أن المعركة حتمية مع عدو مغرور شرس ، لا يفهم شيئا الا طلقات الرصاص وقصف المدافع •

لقد كتب بعض الكتاب الاجانب الممالئين لاسرائيل بأن السادات ضربها وهى غافلة ، وهؤلاء الكتاب يعرفون حقيقة اسرائيل ، ويعرفون أنها لا يمكن أن تكون غافلة ولكنهم لا يريدون أن يقولوا ان السادات قد صحا لها ، وضربها وهى صاحية وهو أيضا كان صاحيا ٠

ولو تذكر هؤلاء الكتاب والصحفيون الاجانب مابذله السادات من أجل السلام لراجعوا أنفسهم مراجعات كثيرة تردهم الى الصواب ٠

وهناك كاتب اجنبى غضب غضبا شديدا ، وكتب مقالا ذكر فيه أنه ما كان يجوز للسادات أن يضرب اسرائيل فى يوم (عيد الغفران) ، وكأنه كان يجب أن يختار يوم الهجوم بالاتفاق مع جنرالات اسرائيل ؟

وعندما كانت الدعاية الصهيونية متحكمة فى أذهان الصحفيين العالميين بالمال أو بالفكر ، كانوا يكتبون كلمات غريبة ، وصلت الى حد اتهام العرب أنفسهم بمعاداة السامية ، على طريقة ما كانوا يتتبعونه ضد النازية ونسوا أن العرب ساميون ، بل هم أصل السامية ، وهم أعرق فى السامية من اليهود ، وكان هذا الكاتب الذى حدثتك عنه من هؤلاء المخدوعين أو

المـأجورين ، فقال ان السادات اتبع فى يوم الغفران حين هاجم إعداءه فوق أرضه التى يحتلونها أسلوب هتلر ؟

وكانت هذه الدعاية قد وصلت الى الترديد فى حرب ١٩٦٧ ، وقالت اسرائيل ان العرب يريدون أن يلقوا بها الى البحر ، واستغلوا نغمة الدعاية المصرية الخاطئـة للتدليل على صدق نظريتهم ، كما استخدمواكل الوسائل الاعلامية فى أرجاء العالم لتأكيد الفكرة التى زعموها ، وهى أنهم شعب مستضعف قليل العدد وسط شـعب مفترس كثير العدد ويريد أن يفترسهم ، وبسبب خطأ الدعاية المصرية ، والديماجوجية ، والتصفيق والتهليل الخرافى • استطاعت الدعاية الصهيونية أن تصل الى آذان وأبصار العالم بغير مشقة،وأصبحت لندن وباريس ونيويورك أبواقا على الارصفة لترديد النصرالاسرائيلى عام ١٩٦٧ بلا مناسبة •

أين كان أنور السادات فى تلك الايام ؟

اننى لا أريد تحديد المكان ولكننى أحب تحـديد الموقف السياسى لرجل عاصر هذه الاحداث الجسام . وهو أحد أعمدة ثورة ٢٣ يوليو العظام •

أعتقد ـ ان لم أكن مخطئا ـ انه كان مستمرا فى مرحلة انصهار الشخصية التى قدمتها فى فصل سابق من هذا الكتاب ، واعتقد ـ ان لم أكن مخطئا ـ انه عاصر الهزيمة مع انصهار شخصيته من أجل الوصول الى النصر ٠

كان كل شىء فى مصر يمجد كل شىء ٠٠ حتى الهزيمة ٠٠ والابواق عالية ، والشعب يرفض الهزيمة ، ويرفض الاستسلام ، ويرفض الهروب ٠

وخرج المحللون ليومى ٩ ، ١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ بأفكار تسند الارادة والمقاومة والرفض لشىء آخر غير الشعب المصرى ٠ ولكن الذى رفض باصرار كان هو الشعب المصرى الذى لا يستسلم ،وكانت القيمةالوحيدة لثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ هى ارادة هذا الشعب وتصميمه وعزمه ، وارادته منذ اللحظة الاولى

ولذلك أصبح تفسير الظاهرة التى حدثت يومى ٩و١٠ يونيو ١٩٦٧ تفسيرا جماهيريا ، يحمل معنى الرفض للهزيمة ٠ ولا يحمل معنى الاستسلام للاحلام المستقبلة للزعماء أو القادة ، ولم يسقط الشعب المصرى قادته كما توقع أعداؤه ، ولكنه احتفظ بهم لمعنى أكبر مما كان يظن الاعداء ، وهذا المعنى هو اعادة الكرامة

التي فقدت عن طريق الذين أريد لهم أن يبـــددوا كرامتهم .

قال الشعب المصرى لقادته : لا تتركوا مواقعــكم ونحن معكم حتى يتم النصر ، ولم يكن المفهوم هو أن يظل الشعب فى مواقعه مع الهزيمة . وكان هذا هــو مكان انور السادات كمواطن مصرى ، وليس كنائب لرئيس الجمهورية ، وكانت الاقدار قد خبأته وهــو من كبار القـــادة ليصبح قائد معركة النصر ، وهازم الهزيمــة .

لقد كان فكر السادات مرتبطا دائما بالمستقبل، فعندما ألقى خطابه أمام مجلس الشعب فى اليوم الحــادى والثلاثين من يناير عام ١٩٧٣،وضع ضوابط للمستقبل لخصها ،فيما يلى :

أولا : انه لا توجد ، ولن توجد حقوق أو حريات مطلقة لان الحق والحرية ممارسة ، والممارســة تجرى فى مجتمع ، ولا يمكن لانسان أن يتمتع بحقـــه وبحريته الا فى حدود احترام حقـــوق وحريات أخرى ، قد تكون حقوق وحريات للمجتمع ، كما قد تكون لافراد . القانون فى النهاية هو موازنة بين حقوق وحريات متعارضة ، ثم ترجيح ايها

أجدر بالحماية ، ومن ثم فان سيادة القانون هى الضمان الحقيقي لحرية الفرد ، كما أنها الضمان الحقيقى لحرية المجتمع •

ثانيا : ان حرية الفكر هى حركة داخل الانسان يتولد عنها الاعتقاد بفكرة معينة ، ومن هنا فهى من مكنونات ضمير الانسان التى لا يمكن أن تمتد اليها محاسبة مهما بلغ من شططها •

ولكن اذا أبرزت هذه الفكرة الى العالم الخارجى وتجاوزت مرحلة الانتقـــال الى مرحلة اشراف الآخرين فى هذه الفكرة أو العقيدة ، كان عليها أن تلتزم الصدق والموضوعية ومبادىء المجتمع وقيمه، وأن تراعى كرامة الانسان ، فحرية التعبير أيا كانت وسيلة التعبير ليست مطلقة بل انها محددة بالقانون ، وهى ليست امتيازات لفرد أو فئة ، بل هى حق يتساوى الجميع فى التمتع به ، وهى جزء من حقوق الفرد العادى •

ثالثا : اننا قد اخترنا الطريق الثورى للتقدم كحتميـة تاريخية وقد استلهمنا فى طريقنا التجربة والخطأ، كما استلهمنا قيم مجتمعنا وحركة التاريخ بفكر مفتوح ولكن غير منحـاز ، فاخترنا طريقنـا الى الحرية الاجتماعية والسير فى طريق التقدم ، وقد

- نظم الدستور هذه الممارسة من خلال مؤسسات الدولة ، وأى خروج على قواعد هذه الممارســة يفتح الباب للتحكم ويشـــوه التعبير عن الارادة الشعبية ، ومن ثم فان احترام سيادة القانون هو الذى يكفل نفاذ كلمة الشعب المتمثلة فى القانون • وسيادة القانون تفرض من الواجبات والمسئوليات بقدر ما تكفل من حقوق وحريات •

لقد أصبح هذا التحديد الواضح لصورة المستقبل ومتطلبات العمل الوطنى فى مصر ، الدستور الدائم لحرب (٦ اكتوبر ١٩٧٣) التى وقعت بعد القاء هذا البيان بثمانية أشهر •

وقد كتب السادات (ضوابط المستقبل) و(متطلبات العمل الوطنى) فى ايجاز شـــديد ودقة بالغة • وكان يجتاز بها مرحلة الفوران التى حدثت داخل المجتمع المصرى عقب توليه الرياسة الى مرحلة التصميم على خوض المعركة المصيرية •• معركة الحرب من أجل السلام ••

وكانت الضوابط المستقبلية التى حددها السادات هى: سيادة القانون ،وحرية الفكر ،وتأصيل الاشتراكية المصرية والديمقراطية ، وقد حدد المصالح المشتركة التى يجب أن يدافع عنها الشعب داخل هذا الاطار على أن يكون تحرير الارض والانتماء المصرى الى الامة العربيه

مما جوهر هذه المصالح المشتركة بغير خلاف .

وجعل متطلبات العمل الوطنى داخل هـــذا الاطار الفكرى المحدد الواضح لاسباب واضحة ، حددها فى هذا الخطاب كما يلى :

أولا : ليكن واضحا أمام الجميع أن مصلحة الوطن فى هذه المرحلة المصيرية تفرض علينا شعبا وحكومة أن نلتزم بمتطلبات العمل الوطنى فى كل المجالات، وفى كل موقع . أن قواتنا المسلحة تقف صامدة مترقبة لحظة التحرير فلنرتفع جميعـــا معها الى مستوى المسئولية ، ولذا فاننى أعلن هنا أمامكم اننا لن نسمح بعد الآن لاى فئة مهما كانت أن تفرض وصايتهـــا على الشعب أو تتـــلاعب بمقدراته .

ثانيا : ان الوحدة الوطنية والممارسة الديمقراطيـــة وسيادة القانون هى الدعائم الاساسيةالتىتشكل فى مجموعها الضمانات الاكيدة لحماية نضالنـــا الوطنى بما يحقق فى النهاية مصلحة الشعب أولا واخيرا ، وبنفس لمفهوم فان أى خروج أو شطط عن هذا الطريق سيقابل بالحزم اللازم .

ثالثا : اننا مطالبون الآن بحكم الامانة والمسئولية التاريخية أن نلتزم بقيمنا وتقاليدنا وأهدافنا القومية ولن نسمح بأى تخريب أو تقويض للجبهة الداخلية فى هذه الظروف المصيرية التى سيتوقف عليها مصير الامة كلها لاجيال قادمة :

١ ـ الارتقاء الى مستوى المسئولية التى تلتزم بها القوات المسلحة المصرية ، وبمعنى آخر وضع الشعب والجيش معا فى مسئولية واحدة مصيرية .

٢ ـ حماية النضال الوطنى عن طريق المحافظة على الوحدة الوطنية والممارسة الديمقراطية وسيادة القانون .

٣ ـ الالتزام الكامل بالقيم والتقاليد والاهداف القومية ، من أجل تدعيم الجبهة الداخلية فى الظروف المصيرية التى تمر بها مصر والامة العربية .

وكان هذا التحديد الواضح الذى قدمه السادات فى يناير سنة ١٩٧٣ لمجلس الشعب ، أساسا للحركة التى انطلقت فى اتجاهاتها الثلاثة التى حددها السادات من أجل الوصول الى السلام وهى :

١ ـ الدبلوماسية المكثفة ٠

٢ ـ الوحدة العربية ٠

٣ ـ اعداد القوات المسلحة اعدادا كاملا لمعركة المصير ٠

وكانت الحركة التى قادها السادات قد بدأت فى ايقاظ العالم ليفهم حقيقة الصراع العربى الاسرائيلى ، وبدأت رحلات المسئولين المصريين تجوب آفاق الارض لتشرح الحقيقة التى حاول (جان بول سارتر) ذات يوم توضيحها ، فأصدر عددا خاصا من مجلته (الازمنة الحديثة) فى عام ١٩٦٨ ، تحت عنوان النزاع العربى الاسرائيلى ، وجعل نصف الصفحات لوجهة النظر الاسرائيلية والنصف الآخر لوجهة النظر العربية ـ ورغم ذلك فان القارىء الفرنسى لم يفهم وجهتى النظر المتعارضتين ، وظل تحت تأثير الدعاية الصهيونية التى تغلغلت حتى وصلت الى قاعات جامعة باريس حيث كانت تعقد الندوات لشرح الفكر الصهيونى ٠

وظلت أوروبا الغربية ـ بل وأوروبا الشرقية أيضا ـ واقعة تحت تأثير الدعاية الصهيونية العالمية بسبب النكبات والمظالم التى وقعت لليهود منذ العصور الوسطى حتى ظهور هتلر على مسرح الاحداث ، واستغلت

الصهيونية العـــالمية المذابح القديمة والحديثة التى تعرض لها اليهود فى اوروبا ضد العـــرب ، ولم يفهم المواطن الاوروبى العادى أن اليهود الذين طردوا من أسبانيا فى عهد محاكم التفتيش هربوا الى مصر ، وعلى رأسهم (موسي بن ميمون) الذى جعله صلاح الدين الايوبى وخلفاؤه طبيبا خاصـا للســلطان ورئيسـا للطائفة اليهودية فى الفسطاط • التى كانت قد أصبحت أحد أجزاء القاهرة•ولم يفهموا أيضا أن كثيرين من اليهود الذين فروا من وجه النازى لجأوا الىٰ القاهرة وكان منهم اطباء مشهورون مثل (الدكتور ماكس مايرهوف) طبيب العيون الشهير والدكتور (أدولف أنجر) طبيب الامراض الجلدية ، وكان منهم أساتذة فى جامعة القاهرة مثـل (الدكتور باول كراوس) المستشرق المعروف ، ومن قبله (الدكتور اسرائيل ولفنسون) الذى منحه (الدكتور طه حسين) درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة،وتسمى باسم عربى هو (أبو ذؤيب) ثم أصبح أســـتاذا فى الجامعة العبرية بالقدس ، ولا زالت مكتبة هـــذه الجامعة تحمل اسمه حتى اليوم •

غابت كل هذه الحقائق عن المثقفين الاوربيين ، ولم يعرفها رجل الشارع الاوربى بالطبع ، عنـدما ذهب المصريون يشرحون حقيقـــة النزاع الذى خلقتـــه الصهيونية العالمية منذ دعا هرتزل الى اقامة الدولة

اليهودية فى فلسطين حتى قامت هذه الدولة ومارست الحروب الاربع منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٣ ٠

وأراد السادات أن يحرر جيلا صنعته الدعايات الصهيونية ، وساعدت فى ترسيخه دعايات عربية هوجاء ، وكان يسلك فى ذلك منطق الاقناع الذى وجهه الى أعلى المستويات عن طريق الدبلوماسية العالمية من ناحية ، وعن طريق ايجاد النغمة الصحيحة للاعلام المصرى الذى يفتح الباب أمام الاعلام العربى ٠

ونحن لا نعلم شيئا عن النصائح التى كان يقدمها السادات لرجاله الذين بعثهم الى أقطار الارض لشرح قضية النزاع العربى الاسرائيلى ، ولكن النتائج تطلعنا على قيمة هذه النصائح التى قالها رجل محنك قادر على استيعاب كل الافكار والاتجاهات السياسية فى عالم تسوده الصراعات الايديولوجية ، ويصل أحيانا الى حافة الحرب بسبب الخلافات بين المذاهب السياسية وصراعاتها ٠

ولم يكن من المهم فى هذه الفترة الحاسمة اختيار الدعاة ، بل كان الاهم هو اختيار ما يقوله الدعاة عن اقتناع واقناع ، ولاول مرة منذ مئات السنين ظهر فى مصر حاكم حكيم صاحب نظرة شاملة ٠ وقد قال الشيخ

محمد عبده أن السياسيين كانوا يصرفون جهودهم فى الجزئيات التافهة ، ويتركون الكليات التى تحدد مصائر الشعوب ٠

ان عدونا كما حدده السادات هو اسرائيل والصهيونية العالمية والاستعمار العالمى ولابد من مواجهة هذا الثالوث بالنظرة الشاملة التى تبعد عن الجزئيات، بل وتطردها من مجال البحث والمناقشة ،فنحن لانعادى اليهود ولا اليهودية ، ونحن لا نريد الحاق أضرار أو انتقامات ، ولكننا نريد اقامة السلام المبنى على العدل ٠

وخلال السنوات الثلاث الحاسمة فى تاريخ مصر والعرب وتاريخ العالم ، لم يقل السادات كلمة جارحة ضد حكام اسرائيل ، بل كان يتحدث من منطق احترام رئيس الدولة لرئيس الدولة ، وهو مفهوم مصرى عريق وعميق ، لان الاحترام يعود دائما الى صاحبه قبل أن يعود الى عدوه ٠

وعندما تحدث السادات بهذه النغمة ، عادت النغمة الصحيحة الى الاعلام المصرى ، وانعكست على الاعلام العربى كله ، وأصبحت المناقشة على مستوى الاحترام ولم تصبح قضية جدلية أو فكرية مثل تلك التى أرادها

(جان بول سارتر) عندما أصدر عددا خاصا من مجلته (الازمنة الحديثة) عن النزاع العربى الاسرائيلى ٠

لقد استطاع السادات احداث تحول فكرى خطير فى مفهوم النزاع العربى الاسرائيلى ونقل القضية من حيز المخطط التوسعى كل عشر سنوات ٠ ومن حيز المناقشات الفلسفية أو الايديولوجية أو السوفسطائية حول الشعب المظلوم والشعب الظالم ، الى نقطة أخرى هى حيز الواقع التاريخى فى الوجود والبقاء أو الاندثار والفناء ، وهى نظرية الحرب والسلام أو الحرب من أجل السلام لمنع الاندثار والفناء ٠

ولقد تعرض اليهود خلال حياتهم لحروب الابادة، ووقع شعبهم فى الاسر مرات عديدة ٠ واصبحت عندهم عقدة الوقوع فى الاسر مرة أخرى بعد أن تجمعوا فوق أرض فلسطين فى هذا العصر ، وسيطرت عليهم هذه الافكار حتى اخترعوا لها فكرة الصقور المحاربة والحمائم المسالمة، وأصبح صراعهم الداخلى بين الصقور والحمائم، وبنوا حياتهم على أساس الحرب وأصبح أطفالهم جنودا يسمونهم (الصابرا) تشبيها لهم بشجرة التين الشوكى التى تحمل عصير السكر الى ثمارها ، وتحمل فى نفس الوقت أشواك الثمار التى توجد فى قلبها فاكهة مليئة ببذور الحقد ، ولم يستطع المصريون اقتلاع

هذه الشجرة من قلب الصهيونيين ، ولا من تربةالارض المصرية ، رغم احتقارهم لثمارها التى لا تفيد ، وتثبت فوق الارض كنبات شيطانى لا يحبه المصريون،ولكنهم يأكلونه فى موسمه عندما يظهر على العربات و القاهرة وقد حاولوا تطويره لاخراج بذور الشر من قلبه حتى لا تصيبهم بالامراض والعلل .

ولكن المصريين لم يتعرضوا لحروب الابادة ، بل تعرضوا لاستعمار بلادهم ، وكانت لهم أفكار محددة فى مواجهة الاستعمار تقول ان مصر هى مقبرة الغزاة .

وأخيرا تعرضوا للغزو الصهيونى ، وهو غزو من شعب تعرض للابادة وليس فى استطاعته أن يجعل مكان اقامته مقبرة للغزاة .

هذه هى خلاصة التاريخ التى انطلق منها السادات ليفسر للعالم حقيقة القضية التى لم يستطع أحد شرحها للرأى العام العالمى ، وعلى أعلى المستويات العالمية ولم تكن مشكلة السادات هى مواجهة العالم ، ولكنها كانت مشكلة كيف يواجه العالم ؟ ولم تكن هناك صعوبة أمامه فى المواجهة ، ولكن الصعوبة كانت فى الاقناع ، وقبلها صعوبة الاقتناع .

قبل شهور من مرحلة الانطلاق نحوالاقتناع والاقناع كان أحد الذين بعثهم السادات وهو مسئول مصرىكبير يعتقد أن اسرائيل تمهد لعدوان جديد فى عام ١٩٧٧ ، لتنفيذ المخطط الصهيونى العالمى كل عشرسنوات،وكانت حركاته السياسية فى الامم المتحدة ، وفى اتصـــالاته تؤكد أنه قد وقع بفكره بين شقى الخشبة التى ينشرها

قرد ، ثم سقط المنشار من بين يدى القرد ، وأصبح ذنبه بين شقى الخشبة فصرخ واستغاث • لقد قدم السادات كثيرين من الانهزاميين لتقديم (ورقة العمل) الى العدو وعندما أرخى لجام فرسه ، ليرخى العـــدو لجام الفرسان المتطلعين الى الغزوة الجديدة فى عام ١٩٧٧ ، ولكنه كان يحمل قدره على كتفه وسيفه فى يده ، ولجام الفرس فى يده الاخرى •

قال للدنيا أنه يريد أن يعيش فى السلام ، وحقق ذلك فى حياته الخاصة • حتى قيل انه أكثر رجال العالم أناقة فى زيه وسمته وطريقة حياته •

الرجل الذى يحب الحياة لا يحب الحرب ، ثم استكانت اسرائيل للقائد الذى يحب الحياة أكثر من حب الحرب ، ولم يعلموا أنه ورث تقاليد القادة العظام من حكام مصر الذين كانوا يرتدون خرقة الصوفيـــة تحت ثياب السلطان •

كان آخرهم (طومان باى) سلطان مصر الذى حارب استعمار العثمانيين وحارب السلطان (سليم بن عثمان) ثم سقط بسبب الخيانة وعندما أرادوا شنقه على باب زويله ، وجدوا تحت ثياب السلطان المصرى ، خرقة الصوفية ، وهى ثوب من الصوف على جلد سلطان مصر • فبكى سلطان آل عثمان ، وقال انه لو علم ذلك قبل أن يشنق عدوه ، لمنحه الحياة ، التى لم يكن (طومان باى) يقبلها على يد عدوه •

وماذا كان يرتدى السادات تحت ثيابه وهو يواجه عدوه ؟

هل كان يرتدى على جلده الخرقة الصوفية ليصل الى الله بجسد سليم ووجه كريم ؟

كان القدر قد رسم له الطريق ، ليرتدى أجمل ثوب فى مواجهة العدو •• ثوب القائد العام للقوات المسلحة المصرية •• ثوب سلطان مصر العظيمة الجليلة ، وله بعد ذلك قدره وسيفه ، ولو لم يفعل ذلك لاصبح خارجا على عظمة مصر وقدرة مصر •

كل ثوب فوق جسده هو ثوب مصر ••

كل شارة على كتفيه من ذهب وجوهر هى شارة مصر التى نثرت تحت أقدامها الجواهر ، ونثر الذهب .

يا أحمس . يا محرر الارض والفكر ، وحامى العرض لك من آمون رع الذهب والجوهر ولن تأخذه صكا حتى تعود الى الحيـــاة الاخرى ولكنك ستتركه لمصر التى علمتك وأفهمتك وحررتك وجعلتك فارسها الذى يمنح المجد للآخرين حبا فى السلام والعدل .

وقد عبر السادات عن روح مصر فيما فكر ودبر ، وخرج رجاله من القاهرة ، للحديث عن مصر ، كما كان الرجال يخرجون فى العصور القديمة للبحث عن الذهب والبخور ، ويعودون الى مصر ظافـــرين ، ثم انقلبت موازين العالم ، وفهم رؤســاء الـدول حقيقة الخدعة الاسرائيلية التى وضعت أمامهم ، وأصبحت فرنســا التى كانت أحد أطراف العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ ترفض بيع طائرات الميراج الفرنسية الى اسرائيل وراجعت بريطانيا حساباتها القديمة، ورفضت سياسة الانحياز الى اسرائيل ، ووقفت موقف الحياد فى الصراع العربى الاسرائيلى .

ونجح السادات فى سياسة تحييد أوروبا الغربية بالاقناع والاقتناع ، وترك أوربا الشرقية ترســـل

المهجرين اليهود السوفييت عبر حدود النمسا ، وثارت المشكلة فى السياسة العالمية بشكل لم يسبق له مثيل، حتى جنح المستشار النمساوى ــ وهويهودى ــ من هذه الحالة الغريبة ، ولم يحاول السادات أن يتدخل فى شئون خاصة لدول أخرى ، مع أن هذا العمل فى ذاته كان يشكل تحديا خطيرا لمقومات الشعب العربى الذى يقاوم اسرائيل ، ويرفض تهجير اليهود الى اسرائيل منذ البداية .

لقد استطاع ايقاظ ضمير العالم ضـــد الحـــركة الصهيونية ، ولو كانت قادمة من موسكو الى فيينا ، بل انه استطاع ايقاظ الضمير اليهودى ضد الحـــركة الصهيونية التى تعمل ضد مصالح اليهود فى أوروبا، وكان رسله ومبعوثوه يتحدثون بأفكاره التى لقنهـــا لهم ، وعلمهم تفاصيلها واســـتطاع أن يحررهم من الهزيمة وأفكارها السابقة واللاحقـــة ، حتى كون الاوركسترا الذى عزف نشيد النصر قبل ساعات النصر، وقبل أن توجد ساحات النصر .

وعندما بدأت أوروبا تستيقظ وتدرك حقيقة اللعبة الصهيونية ، وتحدد موقفها طبقا لمصالحها ، لم تكن المصالح وحدها هى الحكم فى موضوع النزاع العربى الاسرائيلى رغم ان هذه المصالح لها القدر الاكبر فى تحديد

السياسات ، فكان الاقتناع بزيف الدعاية الصهيونية وعدالة المطالب العربية ، له دور مواز مع دور المصالح الخاصة . فبدأت أسهم الدعاية الصهيونية فى الهبوط يوما بعد يوم داخل مراكز الحكم التى تنظر الى مصالح شعوبها ، ولكن هذه الاسهم ظلت متداولة فى مراكز الاعلام الدولى حتى بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، واستمر المخطط الدعائى الصهيونى قائما فى انحاء العالم بطريقته التى رسمت له من قبل .

ولكن موجات التغيير فى السياسة الاوروبية كانت قد ارتفعت فوق مخططات الدعاية الصهيونية ، واتخذت أوربا الغربية سياسة مخالفة للسياسة الامريكية التى كانت موالية دائما وبغير تحفظ لاسرائيل ، ونجح السادات عن طريق الدبلوماسية المكثفة فى اقناع المسئولين الغربيين بانسحاب اسرائيل ، وكانت مهمة (جونار يارنج) ممثل السكرتير العام للامم المتحدة فى الشرق الاوسط قد وصلت الى طريق مسدود ، وأعلن السفير يارنج مرات عديدة ان اسرائيل ترفض تنفيذ قرار مجلس الامن ، كما أن مبادرات (وليام روجرز) وزير خارجية أمريكا السابق ذهبت أدراج الرياح ،ولم تقبلها اسرائيل ، لانها وجدت أن موقف اللاسلم واللاحرب فى مصلحتها ، ولم تلتفت اطلاقا الى السلام .

وفى أواخر مايو ١٩٧٣ عقد فى اديس ابابا مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية فى مناسبة مرور عشر سنوات على قيام المنظمة ، واجتمع أكثر من ثلاثين رئيس دولة فى هذا المؤتمر الكبير الذى كان يضم بين أعضائه ٤١ دولة أفريقية .

وكانت القرارات التى اتخذتها مؤتمرات القمـــة الافريقية طوال الاعوام من ١٩٦٨ حتى ١٩٧٣ بشـــأن النزاع العربى الاسرائيلى ..

وكل هذه القرارات تؤيدمصر ضدالعدوانالاسرائيلى وتدعو الى تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وتؤيد مهمة السفير يارنج فى تسوية النزاع سلميا .

وهنا نقول انه لم يسبق لمنظمة الوحدة الافريقية ان اهتمت بمشاكل خارجة عا المنازعات التقليدية مع الاستعمار ، تلك المشاكل التى عاصرت المنظمة منـــذ قيامها فى ١٩٦٣ ولهذا تبرز أهمية القرارات الافريقية باعتبارها دليلا قاطعا على اهتمام أفريقيـــا بالنزاع العربى الاسرائيلى .

كما أن عدد الدول الافريقية التى تقـــوم علاقات دبلوماسية أو قنصلية بينها وبين اسرائيل بلغ ٣١

دولة تناقض عندما عقد المؤتمر الى ٢٤ نتيجة للنشط الملحوظ للدبلوماسية العربية فى افريقيا ولوضوح الحق العربى للعين الافريقية بعد فشل مهمة لجنة حكمـاء أفريقيا المكونة من سنجور وموبوتو ، ويعقوب جوون وأهيدجوا •

وقـد أكدت مصر لشقيقاتها الافريقيـات ان دبلوماسيتها بالنسبة لقضية الشرق الاوسط تقـوم على :

١ ـ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بكل بنوده ••

٢ ـ معاونة جونار يارنج على تنفيذ القرار ••

٣ ـ ضرورة حصول يارنج على رد ايجابى من اسرائيل عن مذكرته المؤرخة فى ٨ فبراير ١٩٧١ تتعهد فيه بالانسحاب الى ما وراء خطوط ٥ يونيو ١٩٦٧ •

٤ ـ قبول أى جهود أفريقية أو دولية تعمل على تنفيذ قرار مجلس الامن •

وكان هناك احساس عام لا يخفى على أى عين فى اديس أبابا بأن الدبلوماسية المصرية نجحت فى ربط

المشكلة الفلسطينية بالمشكلة الاستعمارية فى أفريقيا عن طريق اظهار التماثل بين معاملة اسرائيل للسكان العرب فى الاراضى المحتلة ومعاملة البرتغاليين والبيض فى روديسيا وزامبيا وجنوب أفريقيا للمواطنين السود داخل أوطانهم الاصلية ٠

وقد حضر الرئيس هذا المؤتمر الافريقى الكبير ، وأتم فيه دعوته الى الدول الافريقية لتأييد الحق العربى ضد اسرائيل التى كانت قد تسللت الى افريقيا لتمثل فى دولها دور العميل للاستعمار الجديد ، وقد اكتشفت أوغنده هذه الحقيقة وطردت الاسرائيليين عن أرضها ، وقطعت علاقاتها مع اسرائيل ، وتأكدت فكرة الرئيس أثناء حرب أكتوبر فانهالت قرارات الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها مع اسرائيل بشكل هز السياسة الدولية ، وكان قد حدث اقناع بعض الدول الاوروبية عن السماح لامريكا بنقل الاسلحة الى اسرائيل عبر أجواء أو مياه هذه الدول ، كما بدلت اليابان وهى الدولة الآسيوية الكبيرة سياستها التى كانت موالية لاسرائيل ٠

استطاع السادات أن يجعل العالم كله فى جانب وأمريكا فى جانب آخر ٠ وفى نفس الوقت ظل يعمل على تنفيذ خطته العربية المكثفة فقام فى أواخر اغسطس

١٩٧٣ بزيارة لبعض العواصم العربية واستغرقت رحلته خمسه أيام قضاها فى عمل سياسى مكثف،وكانت تلك المباحثات قد سبقت حرب العاشرمن رمضان ببضعة اسابيع ، وتركزت حول معركة المصير العربى والمواجهة الشاملة مع اسرائيل .

وعندما اكتمل النجاح السياسى الباهر ، كان الرئيس قد وصل فى نفس الوقت الى النجاح العسكرى الباهر فى يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وقد سبق أن حدد الرئيس موقفه السياسى عندما قال انه سيستخدم الدبلوماسية المكثفة قبل المعركة وأثناء المعركة وبعد المعركة .

وفى يوم السادس عشر من أكتوبر ١٩٧٣ تحدث السادات أمام مجلس الشعب وروى قصة الحرب والسلام التى كان هو بطلها ، وكان هو الذى كتبها بعد أن جعلها حقيقة ..

باب المستقبل

من عادة السادات أن يبدأ أحاديثه باسم الله وعندما صدرت البيانات العسكرية فى حرب أكتوبر كانت تبدا دائما باسم الله الرحمن الرحيم ـ وكان النداء المشترك للمقاتلين الذين عبروا قناة السويس ، واهالوا السد الترابي ، وحطموا خط بارليف هو :

الله اكبر ٠

وقبل المعركة وخلالها ، وبعد وقوعها ، كان السادات يزور الاماكن المقدسة فى مكة والمدينة ويخلع ثياب السلطة شأنه فى ذلك شأن حكام مصر العظام الذين عاشوا خلال حكمهم فترات حاسمة قبل الفترة التى كتبها له القدر ٠

كان بعض سلاطين مصر حين تشتد أمامهم صروف الزمان يتوجهون الى الله بقلب سليم ، وفى نفس الوقت يجعلون للسلطة حقها من الدنيا فى العظمة والمظهر والزى، وكل ما يجب على السلطان أن يسلكه أمام شعبه وأمام أعدائه ، وهذا جزء من عظمة مصر ، ولا يجوز له أن يهمله من ناحية مظاهر السلطنة والحكم ٠ وله

المواكب الفاخرة • والزى الامثل ، وفرسه من الخيول المسرجة بالذهب والجواهر وفوق رأسه قبة الطير،عليها صقر جارح ينقض على أعدائه اذا حاولوا الاعتداء عليه وهي قبة مشغولة بخيوط الذهب ويحملها أكبر أعوانه فى مواكبه الرسمية ، ومن حوله الحراس يحملون الرماح المكفتة بالفضة والذهب ، وأمام موكبه ومن خلفه الجنود والبنود والموسيقات ، حتى قيل ان موكب السلطان المصرى من احدى عجائب الدنيا التى كانت مصر تملك أكثر من نصفها فى العالم القديم وكان أهمها الاهرامات وموكب السلطان واحتفال وفاء النيل •

وكان الظاهر بيبرس أحد فرسان المنصورة فى حرب لويس التاسع • وقاهر التتار فى عين جالوت يخضع أمام الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الاسلام ، وكان غيره من السلاطين ينزلون من القلعة ليجلسوا مع (الشيخ أبو السعود الجارحي) فى مصر القديمة ، ويعرضون عليه مشاكلهم • ويقبلون يديه ووصل الامر بالسلطان قلاوون انه كان ينزل من القلعة الى الازهر متخفيا ليصلى مع الناس • ويسمع رأيهم فى أحكامه ، ثم يصعد الى سطح الازهر ليجلس مع (الشيخ زكريا الانصارى) شيخ الاسلام المتصوف ليتلقى على يديه درسا فى العلم وعندما وقع (طومان باى) آخر سلاطين المماليك فى الهزيمة بسبب الخيانة عندما هاجم

السلطان سليم العثمانى مصر ، وجدوا تحت ثياب السلطان الفاخرة وعلى جسد (طومان باى) خرقة الصوفية ، وهى قطعة من الصوف ارتداها على جلده تحت ثياب السلطنة الفاخرة المطرزة •

وحدث عندما كان (ابراهيم باشا) فى دمشق بعد أن فتح الشام • وتقدمت جيوشه المصرية لتطوق أبواب اسطنبول فى مطالع العصر الحديث ، أن ذهب لزيارة كبير العلماء فى دمشق ، وكان الرجل مصابا بالشلل ، ولا بد له أن يمد ساقه بسبب مرضه ، واعتقد القائد الظافر أن الشيخ يحتقره ويضع رجله فى وجهه، ولا يقوم لاستقباله كما جرت العادة ، ولما علم ابراهيم حقيقة الامر وفهم السبب انحنى على قدم الشيخ وقبلها •

لا تعارض بين عظمة السلطان وبين الايمان ، وهى ليست صكوك غفران ، ولكن السلطان جعل سلطانه وايمانه داخل اطار واحد هو الجهاد فى سبيل الله ، وكانت شعارات السلاطين المجاهدين ، ترتفع دائما من القاهرة لتقول :

– وا اسلاماه •• وا محمداه :

وعندما غاب الايمان وقعت الهزائم ، وسقطالحكام •

حتى أصبح (نابليون بونابرت) من دعاة الاسلام ووضع على رأسه عمامة فى حفل المولد النبوى وشهد الاذكار ، وشارك فى الاستماع للمدائح النبوية الشريفة فى ليلة المولد بالقاهرة ٠

قصص التاريخ كثيرة ومثيرة ٠ ولكن من هم الرجال الذين سيسمعون أذان الفجر ويطلع معهم الفجر ليعيد للناس نور حياتهم ٠

كان السادات هو الرجل الذى تترقبه الاقدار لصلاة الفجر ، ورؤية نور الفجر الجديد ٠

وذات يوم لاحظ صحفى اجنبى أن السادات يحمل على جبهته آثار السجود الطويل وهى شارة الشرف للعابدين المتعبدين ، فكيف يكون شانها مع الرئيس ؟

وهذا الخشوع للواحد القهار هو الذى منح السادات ميزة التواضع فلم يدق الطبول بعد انتصاراته الهائلة فى حرب رمضان بل كان الاحتفال الوحيد الذى اقامه هو حفل تكريم الابطال داخل قاعة مجلس الشعب ــ وجعله تسجيلا للمعارك ، واستجوابا لقائد الجيش الثالث الذى أكد صمود جيشه وانتصاره وعدم تسليم مدينة السويس ٠ كما كان الحفل تكريما لشهداء المعارك ٠

وقبل وقف النار قالت صحيفة الديلى اكسبريس يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

« ان رجلا واحدا فى الواقع الا وهو الرئيس المصرى انور السادات يستطيع ايقاف الحرب ٠ لقد قاتلت قواته بشجاعـــة ، وقد حققت أكثر بكثير مما كان يحلم به أى شخص » ٠

كما قالت الديلى تلغراف فى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

« ان تلك الساعات الست الاولى من يوم السادس من اكتوبر حينما عبر الجيش المصرى قناة السويس واجتاز خط بارليف غيرت مسار التاريخ بالنســـبة للزعيم والدولة وربما للشرق الاوسط بأسره » ٠

وعندما كان العالم كله يتحدث عن انتصـــارات أكتوبر ، ظل السادات على تواضعه ، ولم تتملكه خمرة النصر ـ بل انه استمر يعمل بعد ٦ أكتوبر ١٩٧٣بطاقة أكبر مما كان يعمله قبل هذا اليوم التاريخى العظيم٠ وكان من حقه أن يستريح ويهدأ قليلا بعد هذا الجهد المضنى الذى بذله خـــلال ثلاث سنوات منذ توليه الحكم حتى حقق النصر ٠

وخلال الشهور القليلة التى تلت انتصارات رمضان ،

عقد مؤتمر القمة فى الجزائر ، وقدم السادات كشف حسابه للامة العربية • وقام بجولات سريعة وخاطفة الى عدد من البلاد العربية ليؤكد الدعوة • ويحدد مفاهيم الحرب الجديدة التى شنها العرب من أجل كيانهم وهى حرب البترول وعقد الاجتماعات المتتالية الشهيرة مع (هنرى كيسنجر) وزير خارجية أمريكا التى أدت الى اتفاقية الفصل بين القوات،وسافر الى يوغوسلافيا حيث عقد اجتماعات مع الماريشال تيتو ، وكان قد حضر أيضا المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى لاهور بباكستان ، وأصلح ذات البين بين باكستان وبنجلاديش •

أعمال كثيرة ومستمرة وسريعة داخل مصر ، ومع الاخوة العرب • وخارج الارض العربية قام بها السادات ولا زال يقوم بها بصورة مذهلة ولا يقوى عليها رجل الا من منحه الله الايمان والتواضع •

قال على أمين رحمه الله فى احدى مقالاته بجريدة الاهرام :

« ان الدول العربية تقدر وزن رأى مصر • وتعرف أنها تتكلم بعد أن ضحت بعشرات الالوف من جنودها وضباطها • وخسرت فى معارك فلسطين عشرة بلايين

من الجنيهات اقتطعتها من قوت الشعب المصرى لتواجه وحدها العدوان الاسرائيلى ٢٥ سنة . ولانها تعرف أن سكان مصر يزيدون عن ٤٠ ٪ من الشعب العربى ، ويعرفون أنها مكة العرب فى الفكر والعلم والصناعة والانتاج ووراءها سبعة آلاف سنة من التاريخ والحضارة ويعرفون أنها منارة العرب .. ومن أرضها انطلقت النداءات التى تطالب بتحرير الشعوب العربية وتحطيم قيودها وأغلالها .

ويعرفون أن مصر السادات لم تحاول استعراض عضلاتها أمام الشعوب العربية . لقد رفض السادات زعامة العرب ورجع عدة خطوات الى الوراء وترك المكان الاول لزملائه ملوك العرب ورؤسائهم . ضمد جروح الامس ، واذا بقواته المسلحة وطاقته العجيبة على الصبر وايمانه المطلق وقدرته على التنظيم والاعداد تعيده رغم انفه الى الصف الاول .

فالسادات الذى ترك الشعوب العربية عامين تسخر منه وتغرقه فى النكتة والتشنيعات وتضحك من أدعائه أنه سيحارب .. ليغطى استعداداته الضخمة لمعركة العبور . ليس بالرجل الذى يبحث عن زعامة ، أو يهمه الوقوف فى الصف الاول أو الاخير ..

ولم تتردد الدول العربية أن تستعمل لاول مرة أقوى

أسلحتها وهو سـســـلاح البترول فهزت الدنيا ودعمت انتصاراته جيوش العرب عامة وجيش مصر خاصة ٠

ولكن ليس معنى تواضع السادات ٠ أن يتواضع معه الشعب المصرى ٠ ويترك اذاعات الغوغاء وصحف الهلافيت تسخر من تضحيات هذا الشعب وانتصاراته ومعجزاته » ٠

وحتى تستكمل هذه الصورة التى أراد على أمين تقديمها للقارىء ، فاننى أقدم بعض آراء الاسرائيليين فى أنور السادات ٠ وأذكر هؤلاء الحاقدين من أشباه الزعماء العرب بالمثل العربى القديم الذى يقــول : ان الفضل ما شهدت به الاعداء ٠

لقد صرح (اسحق بن آهرون) سكرتير عـــام الهستدروت فى مؤتمر صحفى نشرته جريدة معـاريف الاسرائيلية يوم ١٩٧٣/١١/١٨ فقال :

ـ ان الحكومة الاسرائيلية خلقت خرافة أن اسرائيل لديها المقدرة أن تقرر وحدها ماذا كانت ستنسحب من الاراضى العربية المحتلة أم لا ؟

ووصف (بن أهرون) الرئيس السادات بانه رجل

واع ، وأعرب عن اعتقاده بعد أن حقق الســـادات انتصاراته من الناحية النفسية ، بأنه سيكون قادرا على التوصل الى ما يريد بطرق أخرى غير الحرب .

وكتبت جريدة معاريف فى أول مارس عام ١٩٧٤ تقول :

قبل عام رأس الرئيس السادات حكومة المواجهة وانتقل من منزله ليعيش فى داخل دشمة هيئة الاركان العامة وأصدر أوامره بالاظلام التام وأمر بالاستعداد للمقاومة الشعبية وحاول اقناع الجميع بجدية نواياه بشن حرب لكن لم يصدقه احد وليس فى اسرائيل بل فى مصر ذاتها . واليوم عندما يحذر أمام الهيئة البرلمانية ــ بأن مصر لن تلقى سلاحها الا بعد أن يتم تحرير كافة الاراضى المحتلة وأن تستعيد الحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى ــ فان هذا الكلام أصبح محل ثقة قاطعة فى مصر وأيضا فى اسرائيل . وانه منذ خمسة شهور التى مرت منذ نشوب الحرب أصبح الرئيس السادات محل تقدير الجماهير منذ أصبح بطل السادس من أكتوبر وأصبحت زوجته السيدة جيهان أم الجرحى .

وكتبت هذه الجريدة الاسرائيلية مقالا فى الثامن من مارس قالت فيه :

« ان حرب عيد يوم الغفران قد أكدت المكانة السيادية لمصر فى العالم العربى ـ وبفضل القاهرة يرجع الاحساس الذى ساد العالم العربى هذا لان انجازات الحرب ان كانت لم تمح تماما آثار الهزيمة التى منوا بها عام ١٩٦٧ ـ فانها رفعت شأن وقامة العرب • ففى القاهرة أصبحت تتردد أصوات تنم عن الرضا من سياسة السادات فى اطار العلاقات العربية فالسادات رجل واقعى ، وهو يعمل من أجل توفير الرخاء لمصر ، نظرا لان الرخاء فى نظر السادات أمر له الاولوية العليا •

ان السادات ـ كما قالت الصحيفة الاسرائيلية ـ يبحث عن الرخاء لا عن الامجاد الشخصية • وقد كرس نفسه من أجل رفاهية الشعب المصرى والشعوب العربية • وهو نموذج جديد بين حكام مصر عبر العصور •

فى أعقاب حرب اكتوبر كانت أجهزة الاعلام المصرية تتحدث عن بطولات المقاتلين لا عن بطولة القائد وهذا لم يحدث عندما وقعت الهزائم المتكررة • فكان الحديث يدور دائما عن الزعامات •

ولاول مرة فى تاريخ مصر يكتب تاريخ شعب مصر لا تاريخ حاكم مصر • ولو استعرضنا الصحف والمجلات التى صدرت فى القاهرة منذ ٦ أكتوبر ١٩٧٣

لوجدنا كيف سطرت وصورت بطولات المقاتلين وانباء المعارك • حتى تقدم مقاتل مصرى لافتتـــاح معرض الغنائم الذى أقيم فوق أرض المعارض بالجزيرة وكان الذى قدمه هو وزير الحربية وقائد الجيش•وفى مناسبة أخرى تقدم أحد رجال المقاومة الشعبية فى السويس ليمثل حقيقة المواطن المصرىفىدفاعه عن أرضهووطنيته• ثم أصبحت أمهات الشهداء لا يتقبلن العزاء • ولا يبكين أعز أحبابهن ولكنهن يفتخرن بأن هؤلاء الاعزاء الشرفاء ماتوا من أجل مصر •

انها صفحات من تاريخ مصر الذى يختلط بحياة السادات ، وترتبط به حياة السادات .

. ومنذ تولى الرياسة حتى بزغ الفجر الجديد ،وبعد بزوغ الفجر ، وحتى هذه اللحظات ،ظل السادات يعمل من أجل الرخاء ، واستطاع اخراج الشعب المصرى من أزمته النفسية الطاحنة ، وكانت فكرته منذ البداية ترتبط بالحرية ، وقد كتب ذات يوم يقول :

ـ ان من ذاق مرارة الاعتقال يعرف معنى الحرية •

وقال : لقد كتبت وانا فى السجن ان اروع ما فى هذه

الحياة هو الحب فى معناه الشامل ·· شجرة جميلة أمامى ، صوت عصفور ، شروق الفجر ، أى مظهر من مظاهر الجمال فى الطبيعة يسعدنى ويهزنى ·

وقد عاش السادات مراحل ضياع الحرية ، وفسر عن طريقها نظريته فى الحكم وظل منذ توليه السلطة يفك القيود قيدا بعد قيد ،ولم تتعب يداه من فك القيود ، ولم يتوقف فكره لحظة واحدة عن عمل يسقط به قيدا من يد ، أو يفك غلا من عنق ·

وكان يقاوم فكرة معاكسة اعتادت وضع القيــود والاغلال ، ولم نذق طعم الحرية ، وهى فى نفس الوقت تتحدث عن الحرية ·

ـ أيتها الحرية كم من الجرائم ارتكبت باسمك ·

لقد جعل السادات مفهوم الحرية واقعا فى الحياة المصرية ، وممارسة عملية تفتح كل الابواب والنوافذ نحو المستقبل ، فرفع ـ وهو فى حالة الحرب ـ الرقابة عن الصحافة ، وكانت قد فرضت عليها منذ ٢٦ يناير ١٩٥٢ عند حريق القاهرة المشهور ، وكانت مفروضة عليها قبل ذلك خلال فترة الحرب العالمية الثانية ،حتى تعود الصحفيون الرجوع الى المسئولين فى كل ماينشرونه

من أخبار ومقالات • ووقعت الصحافة فى أسر السلطة، فأصبحت بلا سلطة فى توجيه الرأى العام •

لقد مارس الصحافة وعرف أسرارها ، وأدرك منذ وقت باكر ان الصحافة بلا حرية تصبح مثل سراب الماء فى الصحراء ، لا ينفع الظامئين •

وفى منطق ممارسة الحرية ، أعلا مبدأ سيادة القانون ،وأغلق المعتقلات،واخرج المسجونين السياسيين وأصحاب الجرائم الذين أمضوا بعض المدد فى السجون، ورد الحقوق لمن سلبت حقوقهم •

وكان هذا هو الدواء للازمة النفسية التى عاشها الشعب المصرى غير آمن على شىء فعاد اليه الامن والطمأنينة على كل شىء •

لم تكن المشكلة أن يملك المواطن المصرى قطعة أرض ليدافع عنها ، ولكن المشكلة أن يشعر بأنه يملك وطنه ليدافع عن ترابه • ومعنى حرية المواطن ليست فى امتلاك خمسة أفدنة من الاصلاح الزراعى ليحارب من أجلها ، ولكن معناها امتلاك نفسه ومصيره ويومه وغده ، وعندما امتلك المصريون هذه القيم حاربوا معركة رمضان ، وتحققت أفكار السادات عن معنى الحرية •

الرخاء لا يأتى على طريق الاستعباد :

لقد ألف المقريزى المـــؤرخ المصرى الشهير كتابا عن الكوارث التى لحقت مصر من مجاعات وأوبئة ، وسماه (كشف الغمة) ، وسجل فيه من النكبات ما تنوء به كواهل الشعوب حتى أكل الناس لحوم الكلاب والقطط ، بل ولحوم الاطفال حين اشتدت المجاعات ، ولكن مصر كانت تعود الى الرخاء مرة أخرى بعـــد أن تنكشف الغمة ٠

وقد تحدث السادات عن السنوات العجاف التى مرت بمصر ـ ولم تكن بحمد الله مما ذكره المقريزى ـ وحيا الشعب المناضل الاصيل ، الذى تحمل كل شيء ، ووقف فى الطوابير أمام المجمعات الاستهلاكية ، وعاش ببطاقات التموين ، مضحيا من أجل كرامة الشعب العربى ، حتى حانت ساعة الرخاء ٠

انه يسعى للسلام من اجل الرخاء ، وحركة التحرير فى مفهومه السياسى مقترنة بحركة التعمير ، وهذا هو المفهوم الحضارى لمصر منذ سبعة آلاف عام ٠

الحرية والحضارة شيء واحد فى المفهوم المصرى الذى وضع أساس الزراعة والصناعة والعلم والفن من اجل

رخاء الانسان الحر ، ولم يحدث أن وضعت حضارة مصر داخل غلاف كتاب مقدس تعيد قراءته كلما أرادت لنفسها الحياة ، كما حدث مع الفكر الاسرائيلى الذى يملك كتابين هما التوراة والتلمود ، لان مصر تملك الكتاب الاكبر الذى يتسع لكل الصفحات بغير قيود ولا حدود بين الماضى البعيد والمستقبل الاكثر بعدا .

ان مصر تستطيع أن تغير كل شىء حتى جلود البشر ، وتستطيع أن تضع على اجساد الغـــزاة شاراتها وثيابها ، فألبست بونابرت (العمامة) حين أراد أن يحتفل بالمولد النبـــوى الشريف وألبست اللورد كتشنر (الطـــربوش) حين أراد أن يكـــون ضابطا فى جيشها وهو يحتل أرضـــها تحت علم الامبراطوريـــة التى كانت الشـــمس لا تغيب عن ممتلكاتها .

وعندما أراد بونابرت فى حملته الغازية لمصر أن يضع فى صدر (الشيخ عبد الله الشرقاوى) شيخ الازهر وسام الجمهورية الفرنسية المثلث الالوان ، نزعه الشيخ وألقاه فى وجه بونابرت وقال الكلمـــة الفرنسية الوحيدة التى يعرفها :

ولم تستطع بريطانيا العظمى بعد احتلال مصر أن تجعل الجيش المصرى على نمط الجيش البريطانى كما فعلت فى المستعمرات ، بل أن الضباط الانجليز الذين انضموا الى الجيش المصرى ارتدوا ثياب الجيش المصرى • وهكذا فعل ضباط البوليس الانجليز الذين كانوا يشرفون علي الامن فى مصر خلال فترة الاحتلال •

وكان كبار الموظفين الانجليز الذين يعملون فى الحكومة المصرية ، يرتدون (الطربوش) الذى كان شعارا رسميا للموظفين المصريين •

اما اليهود الذين عاشوا فى مصر ، فقد ارتدى بعضهم الجلاليب وتأقلموا بالحياة المصرية فى كل تقاليدها وعاداتها ، حتى لاحظ ذلك بعض الصحفيين الاجانب الذين زاروا تل أبيب ، فقال احدهم انه يعرف مكان اليهود المصريين ، عندما يشم رائحة الملوخية •

كانت قضية الصراع الحضارى بين مصر والصهيونية ، لا تحتاج الى شرح أو تفصيل فان مصر هى أم الحضارات ، وكانت تحتاج الى قائد يفهم حقيقتها ، ويرد اليها قيمتها فى مواجهة

الدعايات ، والاقوال الخادعة ، وفى ظل الانكسار الاوربى المترنح تحت ضربات النازية لليهود ، واثارات هتلر ومعسكرات تعذيبه لليهود ، حتى صنع من جلودهم أباجورات للمصابيح

ولم يفهم العالم الاوربى حقيقة القضية بعد انتهاء الحرب الثانية ، بل كان يحمل فى أعماقه العطف على اليهود بسبب أو بغير سبب ، ولم يسمع هذا العالم الذى دمرته الحرب كلمات الملك عبد العزيز آل سعود للرئيس الامريكى روزفلت ، عندما التقى به فوق ظهر يخت فى البحيرات المرة داخل قناة السويس ، فقد قال الملك العربى للرئيس الامريكى :

ـ اذا كنت تريد تعويض اليهود عن عذابهم مع الالمان ، فأنت تستطيع أن تمنحهم من بيوت الالمان وقصورهم وأموالهم ما يعوضهم ولكن لا تعوضهم على حساب الشعب العربى الذى لم يرتكب ضدهم جرما ٠

وسكت روزفلت ، ولم يستطع الرد على الملك العربي ، ولكنه طلب منه ارجاء المناقشة وتعهد بأنه سيكون مع الشعب العربى ٠

وكان السادات فى تلك الايام شابا يكتب أول حروف

التاريخ فى حياة مصر ، كما سبق أن ذكرت ذلك .

وبعد ثلاثين عاما كتب السادات السطر الذى أملاه الملك عبد العزيز آل سعود على روزفلت .

ـ لماذا يدفع العرب ثمن أخطاء الآخرين ضد اليهود ؟

قال الرئيس السادات لوزير خارجية ألمانيا السابق « الهر شرويدر » :

ـ لما كنت طفلا كنت أسمع أهل قريتى الصغيرة يشيدون بالعقلية الالمانية والعبقرية الالمانية والخبرة الالمانية . وعشقت ألمانيا مع أهل قريتى ثم مع شعب بلادى ، وعاش الحب فى صدورنا سنوات طويلة .

ثم فوجئنا بعد الحرب الاخيرة بما يسمى عقدة الذنب ، ورأينا صديقتنا تحل مشكلتها مع اليهود بطردهم من بلادها ، ثم اسكانهم فى فلسطين بعد طرد أصحابها منها . وفوجئنا بصديقتنا التى احببناها تقدم مليارات الماركات هدية للذين طردونا من بلادنا ثم فوجئوا بحكومة الدكتور اديناور تقدم كميات ضخمة

من الاسلحة لاعدائنا وقد استخدم جيش اسرائيل هذا السلاح لقتل أولادنا .

ولم ينسب الشعب العربى هذه التصرفات العربية للشعب الالمانى ، بل نسبها لبعض ساسته لانه لم يتصور أن الشعب الذى أحبه كل هذه السنين يمكن أن يطعننا فى ظهرنا . ونحن اليوم لا نطلب من ألمانيا أن تقف بجانبنا . لاننا نعرف ظروفها .. ولكننا نطلب منها أن تنظر بطريقة موضوعية عادلة الى قضيتنا . لقد زرتم مدينة السويس ورأيتم بعيونكم كيف تحولت المدينة الى أنقاض .. وقد تكرر هذا الخراب فى الاسماعيلية وبورسعيد . ان القنابل الالمانية اشتركت فى هدم السويس . وأنا أرجو أن تشترك العقول الالمانية والايدى الالمانية فى اعادة بناء السويس ومدن السويس . اننى انتظر وصول المستشار ويلى برانت وأتوقع أن نتحدث معا فى هذا الموضوع . ولكن يهمنى أن تعرضوا هذه الحقائق على الشعب الالمانى ليقدروا مدى الظلم الذى وقع على العرب ..

وقال « شرويدر » وباقى ممثلى الاحزاب الالمانية للرئيس السادات ، أن جميع أحزاب المانيا الغربية متفقة اليوم على أن تساهم بلادهم بكل طاقاتها فى معركة التعمير . وهم جميعا متفائلون بالغد الذى ينتظر مصر

ويعتقدون ان مشكلة اسرائيل قد اقتربت من نهايتها ٠

ثم قال زعيم المعارضة بالنيابة للسادات ان كل الالمان الذين التقيت بهم يؤمنون بك ٠ ويتوقعون لمصر رخاء سريعا ٠ ولقد كانت أمنيتنا أن نزور أسوان ونشاهد التطور الضخم الذى حدث فيها ٠٠ ولكن البرنامج الذى وضعوه لنا لم يتسع لهذه الزيارة مع الاسف ٠

فقال السادات : اننى أدعوك وزملاءك أعضاء الوفد البرلمانى أن تعودوا لنا مرة أخرى ٠٠ ويسعدنى أن أستقبلكم ٠ وأن أوفر لكم رحلة الى أسوان ٠ تعالوا مرة أخرى ٠٠ اننا فى انتظاركم ٠

وقد ذهب شرويدر ليطير الى تل أبيب ليجتمع بساسة اسرائيل ، ويرى بنفسه مدى التطور الذى وقع فى سياسة اسرائيل بعد معركة العبور ٠ وكان قد زار اسرائيل منذ ثلاث سنوات واجتمع بقادتها الذين أكدوا له أن الجيش المصرى أضعف من أن يهاجم اسرائيل ٠

هذه الذكريات لم توقف السادات عن اتمام خطته من أجل الرخاء ، وقد بدأها منذ بدأ يفكر فى الكفاح

الودانى من أجل تحرير مصر ، ولم تكن هذه الافكار سوى التفكير الجديد الذى سبقه تصور قديم ·

من الماضى والحاضر يبنى المستقبل

ان المستقبل لا ينفصل عن الحاضر ، والحاضر لا ينفصل عن الماضى ، وهى ثلاث حلقات تصنع حياة الانسان ·· الماضى والحاضر والمستقبل كما ان الانفصال عن حلقة واحدة من هذه الحلقات الثلاث يؤدى الى الهلاك وانعدام الرؤية ، وضياع الانسان نفسه فى متاهة اللا وجود واللا عدم ·

هكذا نشأت حياة الانسان فوق الارض ، أب وابن وولد ، وهى الحلقات الثلاث التى تصنع وتوجد حياته الممتدة من الماضي الي المستقبل ·

وفى اليوم الثالث من ابريل عام ١٩٧٢ ، وكان السادات داخل جامعة الاسكندرية يتحدث الى المستقبل الى شباب مصر ، وبين يديه ورقة عمل لصنع المستقبل ولم يقبل السادات أن يقدم هذه الورقة للتنفيذ وهو رئيس الجمهورية ، ولم يقبل لافكاره أن تستقبل بعواصف التصفيق والتاييد ولكنه قال انه يعرض أفكاره للمناقشة ·

وعندما عبر السادات مرحلة الماضى منطلقا الى

المستقبل ورأى فى الشباب هذه الصورة كان يتحـــدث فى جامعة الاسكندرية بأسلوب الوالد الى أولاده · وكان يشعر منذ وطئت قدماه أرض الجامعة أنه أب لهؤلاء الشباب الذين سيخرج من بينهم قائد المستقبـــل · وحدثهم عن (ورقة أكتوبر) قبل أن يقدمها فى الاجتماع المشترك بين أعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى وأعضاء مجلس الشعب ـ وهما يمثلان المؤسســـتين الديمقراطيتين فى مصر ·

وكانت محاورته مع شباب المستقبل تشبه محاورات أفلاطون مع تلاميذه ـ وليس هذا من ايحاء جامعـــة الاسكندرية التى كانت من أقدم جامعات الدنيا فى مناقشة فلسفة الحكم ، ولكنه ايحاء من الحوار الذى دار بين السادات وبين شباب الجامعة . فقد ارتفع المستوى العلمى فى الحوار حتى رفض المشكلات الطارئة أو الوقتية والتفت بكل انتباه الى المشكلات العامة أو الرئيسية فى بناء المجتمع المصرى فى المستقبل ·

ونسى أنور السادات أنه رئيس الدولة أثناء هـذا الحوار ، وارتدى ثياب الاستاذ الجامعى حتى أنه رفض مناقشة مشكلات السلطة ، وأحالها فورا الى الوزراء المختصين ليتصرفوا فيها وعاد الى الشباب ليناقشهم حول المستقبل الذى رآه فى وجوههم أو قرأه فى عيونهم ·

لم تكا المشكلات الطارئة هى التى تشغل تفكيره .
ولكن الذى شغل تفكيره هو مستقبل مصر • لان كل المشكلات يمكن ان يجد لها حلا خلال ورقة صغيرة اسمها (قرار جمهورى) ، ولكن المشكلة الكبرى لن يصدر بها قرار جمهورى • ولكن تصدر بها ارادة شعبية تعيد بناء مصر وحضارة مصر •

وهناك ميزة من ميزات السادات هى قدرته على أن يضع فلسفة لكل المواقف ثم يضع حلولا للمشاكل •

وقد اتبع الاسلوب العلمى عندما كتب (ورقة أكتوبر) التى فسر بها أسرار معركة أكتوبر ، وفسر بها أيضا أسرار الانطلاق نحو مستقبل مصر •

لقد رفض عند مناقشة الورقة شيئين أساسيين هما :

- فكرة المعجزة التى حققت انتصار اكتوبر .

- التنصل من المسئولية السابقة لتوليه السلطة .

وكان الرفض للفكرتين قائما على أساس علمى ، لا صلة له بالعاطفة ، بل ان استرضاء الجماهير على

أساس ترويج هاتين الفكرتين كان هو الطريقة التى سلكها السابقون من حكام مصر فليس أسهل من القول بأن المعجزة تحققت ليصل الحاكم الى ما يقرب من القداسة ، وليس أسهل من افراغ كل اخطاء الماضى أمام الجماهير لتحلم بعصر الثراء القادم عن طريق الرخاء بعد زوال هذه الاخطاء .

ولكن السادات رفض هذه الطريقة ونبذها ، وهو من أعرف العارفين لمسارها فى التاريخ المصرى الحديث والقديم وقد سلك حكام من قبله هذه الطريقة ، ثم ضلوا الطريق .

وكانت المشكلة أنه أصر اصرارا كاملا على تحمل المسئولية منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى الآن ، وحين قيل له أنه مسئولا عن القرارات وليس مسئولا عن الاجراءات ، رفض هذا الراى وبدأ يتحدث عن السلبيات التى تحدث فى الماضى والايجابيات التى يجب أن تحدث فى الحاضر .

ولم تكن القضية من وجهة نظره هى المسئولية فى ذاتها ، ولكنها كانت قضية التاريخ المصرى الذى يرتفع قدره مع ارتفاع مسئولية القادة والزعماء .

ان قضية (أنور السادات) هى قضية مصر وليست قضيته هو شخصيا • وليس يهم اطلاقا ان يكون فى الصف الاول أو الصف الاخير ، ولكن يهمه دائما أنتكون مصر هى الطليعة للنضال العربى ، وكثـــــيرون ممن يتصورون أنهم مثاليون لا يصلون الى هذه الدرجـة من انكار الذات فى سبيل تحقيق المبادىء والاهداف •

وقد أراد السادات الا يختل الميزان وقبل على نفسه أن يكون مسئولا عن كل شىء • حتى تبقى الصلة بين المـاضى والحاضر عندما فتح لمصر باب المستقبل •

آخــر كلمــة

لمـاذا لا نتصالح مع اسرائيل ؟

ولمـاذا نتصالح مع اسرائيل ؟

كنت أشاهد الاجابة على هذين السؤالين ، ولا زلت أشاهدها على شاشة التليفزيون فى لقاءات فارس السلام مع قادة اسرائيل ٠

مناحم بيجين ٠٠ موشيه دايان ٠٠ عزرا وايزمان ، وكنت أحس دائما بأن مصر ليست لها مشكلة مع اليهود، ولكنها منذ عام ١٩٤٨ دخلت فى المشكلة من أجل شعب فلسطين المطحون المضروب المشرد ، وهو شعب مناضل قاسى الاهوال والشدائد فى ظل الانتداب البريطانى ، وفى ظل الغزو الصهيونى ٠٠ وآن له أن يجد وطنه وأرضه وأن يجد نفسه بعد هذا الضياع ٠

نحن لا نريد أن يكون الشعب الفلسطينى فى السبى مثل الشعب اليهودى أيام البابليين أو الرومان أو النازى، وليس من هدف فارس السلام أن يترك القضية معلقة بين أيدى من يعلقون عضوية مصر فى منظماتهم ، وهو

لا يتدخل فى تقرير مصير الشعب الفلسطينى كما يروجون ويزعمون ، ولكنه يفتح الباب لهذا الشعب حتى يقرر مصيره بنفسه فى ظل السلام ، وليس على فوهة بندقية خائبة لا تعيد شعبا الى أرضه ، ولا تبنى بيتا يعيش فيه طفل بين أبويه ٠

ان الشعوب لا تبنى الحياة وسط طلقات البنادق، ولكنها تبنيها وسط حدائق الزهور ٠

الحرب دمار ٠٠ والسلام حياة ٠٠

لو كنا قد أخطأنا فى رقم الشارع الذى يوصلنا الى حديقة السلام ، فاننا لم نخطىء فى هدفنا الذى نصل اليه لنرى بعيوننا زهور السلام ٠

لو سرنا على الشوك حتى نصل الى أول زهرة يانعة نضعها بين يدى طفلة جميلة باسمة من بنات شعب فلسطين الذى لا زال نصفه يعيش فى الخيام ٠٠ لكان هذا شرفا لاحباب السلا م٠

آه لو حاسب هؤلاء الرافضون أنفسهم ، الحساب مرير وعسير ٠

كان اخوتنا معنا فى الحرب على شرط الانتصار

فلماذا لا يكونون معنا فى السلام على شرط الانتصار ؟ لقد دعا فارس الحرب والسلام وهو وسط المعركة الفاصلة الحاسمة وفى يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ ٠٠ ولم يعترض أحد على دعوته ، وعندما سار فى طريقه تفرقوا شيعا وأحزابا ، وقال كل قائل مايعجبه بعد أن رفع من فوق رأس أمتنا العربية عار الهزيمة ، وأصبح العرب قوة سادسة بين قوى العالم المعاصر ٠

قوم يشككون فى عروبة مصر ٠

وقوم تطول ألسنتهم على شعب مصر ٠

وقوم يريدون السلام ولا يريدون السلام فى وقت واحد ٠

وأقوام كثيرون لكل منهم مصلحة ومنفعة ، ولبس فى أيديهم حل للمشكلة ٠٠ مشكلة شعب فلسطين المغلوب المقهور ٠

ويقول قائل سخيف رذيل مرذول ان شعب فلسطين لم يمنحنا توكيلا للدفاع عنه أو اقامة دولته ،

هؤلاء ٠٠٠

لو كان فيهم خالد بن الوليد أو سعد بن أبى وقاص أو موسى بن نصير أو طارق بن زياد أو عقبة بن نافع ٠

يا هؤلاء ٠٠

لو كانت مصر بكل ما تحمله كلمة مصر قد أرادت أن تنسلخ عن عروبتها وجهادها وكفاحها ، ودورها الذى تتنكرون له اليوم ، لفعلت ، وهى قادرة وليست عاجزة ٠

ان أسهل شيء اليوم هو أن تعلن مصر حيادها الحقيقى ، لا حياد عدم الانحياز ، وسط منطقة الشرق الاوسط لتصبح مثل النمسا وسط دول أوربا الشرقية٠

ولكن مصر عربية مجاهدة مناضلة قادرة على صنع السلام ، كما كانت قادرة على صنع الحرب ولن تتنازل عن دورها فى صنع السلام ٠٠ مع فارس السلام ٠



يصدر عن
مركز النيل للاعلام
١ شارع دمياط
العجوزة ـ القاهرة
ت ٨١٣٢٠٨ ـ ٨١٢٨٦٣



الثمن ٢٥٠ مليما